روضة الأقوال والحكم والأمثال في

العقل • العلم • الصدق • الصبر
الدنيا • الحياء • التوبة • حُسن الخلق



مصطفى شيخ إبراهيم حقي

الطبعة الثانية

دار الحضارة للنشر والتوزيع

روضة الأقوال والحكم والأمثال في

العقل • العلم • الصدق • الصبر

الدنيا • الحياء • التوبة • حسن الخلق

بسم الله الرحمن الرحيم

روضة الأقوال والحكم والأمثال في

العقل • العلم • الصدق • الصبر
الدنيا • الحياء • التوبة • حُسن الخلق

مصطفى شيخ إبراهيم حقي

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
حقي، مصطفى شيخ
روضة الأقوال والحكم والأمثال في العقل العلم الصدق الصبر الدنيا الحياء التوبة حُسن الخلق.- ط٢ - الرياض ١٤٢٩هـ
٠٠ص ؛ ٠٠ سم
ردمك: ٧-٣٩٩-٥١-٩٩٦٠-٩٧٨
١- الثقافة العامة ٢- الوصايا والحكم أ. العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٢٩/٣١٥١

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٣١٥١
ردمك: ٧-٣٩٩-٥١-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الثانية
١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هـاتف: ٢٤٩٦٥٥٥ - ٢٧٨٧٣٣٣ فاكس: ٢٤٨٣٠٠٤
المستودع تلفون: ٢٤١٦١٣٩ فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

الافتتاحية

﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ ۚ ﴾

«سورة الرعد، الآية: ١٧»

إذا لم تكــن حافظــاً واعــياً ... فجمعــك للكتــب لا يــنفع

أتــنطق بــالجهل في مجلــسٍ ... وعــلمك في البيــت مســتودع



الإهداء

إلى صاحب السمو الأمير

الشاب .. المنصور بن سعود بن محمد

ابن عبدالعزيز آل سعود .. متعه الله بالصحة

والعافيـــة. وحمـــاه مـــن كـــل مكروه يا كريم.

وإلى كـل العقول النيرة والعلماء الذين يعملون للخير

والعطاء .. أقـــدم هذا الجهد المتواضع .. اللهم أحسن

لنـــا الخاتمـــة واجعـــلنا في مستـــقر رحمـتك ..

وهـــو ولي التوفيـــق والســـداد آمـــين.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد.

يطيب لي أن أقدم كتابي هذا للقارئ الكريم وأخص بالذكر منهم الوعاظ المرشدين داعياً الله تعالى أن تنفعهم هذه الكلمات في شؤون حياتهم.

ونسأله سبحانه وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مصطفى حقي

أقوال في العقل .. والعاقل

العقل

العقل في اللغة:

الحجر والنهي. ضد الحمق والجمع عقول، عقل يعقل عقلاً ومعقولاً. رجل عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمه. وقيل العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، أخذ من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام. وقيل العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان عن الحيوان(١) وسمي العقل؛ لأنه ينهى عن القبيح وكل ما ينافي العقل وسمي العقل عقلاً تشبيهاً بعقل الناقة، والعقل الممدوح في الكتاب والسنة: هو قوة أنعم الله بها على العبد يعقل بها الأشياء النافعة والعلوم والمعارف. ويمتنع من الأمور الضارة والقبيحة، فهو ضروري للإنسان، لا يستغني عنه في كل أحواله الدينية والدنيوية، والعقل في لغة الرسول ﷺ وأصحابه عَرَضٌ من الأعراض، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢) وقوله سبحانه: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (٣)

أما العقل في الاصطلاح الشرعي:

اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب، والعلم باجتناب الخطأ. فإذا كان في أول درجته يسمى أديباً ثم لبيباً ثم عاقلاً. والعقل قوة للنفس والنفس بتلك

---

(١) لسان العرب: ٤/ ٣٠٤٦.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٧.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٦.

القوة تكون مستعدة للعلوم والادراكات [(١)] ، والعقل هو المحور والقطب الذي يوصل به إلى الملك المعبود. والعقل بتعريف آخر هو: «نور روحاني تدرك النفس الإنسانية به العلوم الضرورية والنظرية يبتدئ وجوده حينما يستكمل الجنين خلقته في رحم أمه ثم يتزايد وينمو تدريجياً حتى البلوغ [(٢)]

والواجب على العاقل أن يتجنب أشياء ثلاثة، فإنها أسرع في إفساد العقل من النار في يبيس العوسج [(٣)]:

١- الاستغراق في الضحك.

٢- وكثرة التمني.

٣- وسوء التشبث.

فالعقل [(٤)] جوهرة ثمينة يمتلكها الإنسان. ويتساوى بدون استخدام عقله مع الدواب، لقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [(٥)].

فجعل الله صفة الفراغ العقلي للدواب؛ وذلك لأنها غير مهيأة لاستخدام عقلها، فشابهها الإنسان عندما يعطل دور عقله في تحصيل العلم النافع والقيام

---

(١) درجات الأحكام: ٤/ ٥٨٠.

(٢) مصدر سابق.

(٣) العوسج: فصل العين باب الجيم، جمع العواسج، وعَسِجَ المال كفَرِحَ مرضت من رعيتها واعسجَّ الشيخ اعسجاجاً: مضى وتعوّج. والعوسج نبات شائك من الفصيلة الباذنجانية، القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص٢٥٤، ط٢، مؤسسة الرسالة - بيروت: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٤) العقل أصوله وميادينه في الحياة، الشيخ محمد عبدالعزيز اللحيدان/ دار الإمام مالك، الرياض: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢٢.

بالعمل الصالح. وهذا هو سر تمييز أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – للرجال حين قال: «أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، ومروءته خلقه». فقد مرّ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بصبيان يلعبون، وفيهم عبدالله ابن الزبير فهربوا منه إلا عبدالله، فقال له عمر: مالك؟ لِمَ لم تهرب مع أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لم أكن على ريبة فأخافك، ولم يكن بالطريق ضيق فأوسع لك. فانظر ما تضمنه هذا الجواب من الفطنة، وقوة المنة، وحسن البديهة. كيف نفى عنه اللوم، وأثبت له الحجة فليس للذكاء غاية ولا لجودة القريحة نهاية.

أَخْي عقلك، ونوّر قلبك بالإقبال على كتاب الله عملاً وتلاوة واستماعاً وتدبراً، وأكثر من الأعمال الصالحة فهي من أقوى العوامل في الهداية والاستقامة، وجالس الأخيار الذين يذكرونك بالله عز وجل ويعينونك على أداء الواجبات الدينية والدنيوية.

فأول شعب العقل: لزوم تقوى الله. وإصلاح السريرة؛ لأن من صلُح داخله أصلح الله ظاهره، ومن فسد داخله أفسد ظاهره. وقد أحسن من قال:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غداً للناظرين قريب

وقال أبو العتاهية:

أراك امرءاً ترجو من الله عفوه وأنت على ما لا يحب مقيم
فحتى متى تعصي ويعفو إلى متى؟ تبارك ربي إنه لرحيم

أما العقل: في مفهوم فرويد: إن العقل البشري يشبه جبل الجليد العائم في المياه القطبية؛ حيث يختفي منه تحت سطح الماء تسعة أعشاره، ولا يظهر للعيان سوى عشرٍ واحدٍ، ومعنى هذا أن الأجزاء المختفية من العقل هي التي تقرر سلوك الإنسان، أما الجزء الظاهر من العقل، فليس سوى برقعٍ يحاول الإنسان أن يغطي به عقله الباطن.

العقل من البيان الإلهي:

قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ  ﴾ (٣)

وقال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝ ﴾ (٤)

وقال تعالى: ﴿ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (٥)

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ ﴾ (٦)

وقال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآىِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ۝ ﴾ (٧)

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٢.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٥) سورة الملك، الآية: ١٠.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٣٢.

(٧) سورة الروم، الآية: ٨.

العقل من البيان النبوي:

عن الحسن البصري – رحمه الله تعالى – أنه قال: «حدثني جماعة، كلهم سمعوا الحديث عن النبي ﷺ يقول: «**إن الله تعالى لما خلق العقل قال لـه اقعد فقعد، ثم قال له قم فقام، ثم قال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال له تكلم فتكلم، ثم قال له انظر فنظر، ثم قال له انصرف فانصرف، ثم قال له فأفهم ففهم، ثم قال لـه وعزتي وجلالي، وعظمتي، وكبريائي، وسلطاني، وجبروتي، وعلوّي، وارتفاع مكاني، واستوائي على عرشي، وقدرتي على خلقي، ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك، ولا أحبَّ إليَّ منك، بك أُعْرَف، وبكَ أُعْبد، وبك أُطاع، وبك أُعطي، وإياك أُعاقب، لك الثواب، وعليك العقاب**» [(١)]

وعن أبي يعلى شداد بن أوس – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**الكيّسُ (يعني: العاقل) من دان نفسه وعَمِل لما بعد الموت، والعاجز من أتْبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**» [(٢)]

وقال ﷺ: «**أنا الشاهد على الله أن لا يعثر عاقل إلا رفعه، ثم لا يعثر إلا رفعه، ثم لا يعثر إلا رفعه، حتى يجعل مصيره إلى الجنة**» [(٣)]

---

(١) جزء مما رواه الإمام أحمد في الزهد.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، قال الهيثمي: إسناده حسن.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه إلى هدى، أو يرده عن ردى**»(١).

ويقول ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**» فجعل ﷺ صلاح الجسد وفساده تابعاً للقلب، مع أن الدماغ من جملة الجسد(٢).

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**طاعة الشهوة داء وعصيانها دواء**»(٣).



---

(١) قال المناوي: «وذلك بأن يعقل عن الله أمره ونهيه لأن العقل منبع العلم وأسه العلم يجري منه مجرى الثمر من الشجر والنور من الشمس والرؤية من العين وكيف لا يشرف ما هو وسيلة للسعادة في الدارين؟ ولهذا ورد في خبر أن لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته، أما سمعت قول الفجار: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾، والحديث رواه الطبراني في الأوسط من كتاب العقل أصوله وميادينه – الشيخ محمد عبدالعزيز اللحيدان.

(٢) مصدر سابق.

(٣) مصدر سابق.

من أقوال السلف عن العقل

سئل ابن المبارك – رحمه الله – : ما خير ما أعطي الرجل؟ قال: غريزة عقل. قيل: فإن لم يكن؟ قال: أدبٌ حسن. قيل: فإن لم يكن؟ قال: أخٌ صالح يستشيره. قيل: فإن لم يكن؟ قال: صمتٌ طويل. قيل: فإن ن لم يكن؟ قال: موت عاجل[(١)]؟

وقالت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – : «قد أفلح من جعل الله له عقلاً».

وقال بعض الحكماء: «العقل للقلب بمنزلة الروح للجسد». فكلُّ قلبٍ لا عقل له فهو ميت، وهو بمنزلة قلب البهائم.

وقال معاوية – رضي الله عنه – : «العقل مكيالٌ ثلثه فطنة، وثلثاه تغافل».

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – : «ليس العاقل من يعرف الخير من الشر، ولكنه الذي يعرف خير الشريّن».

وقال بِشْر الحافي – رحمه الله – : «اعلم أن البلاء كلَّه في هواك، والشفاء كله في مخالفتك إياه»[(٢)]

وقال الحسن – رحمه الله – : «ما يتم دينُ الرجل حتى يتم عقله، وما أودع الله امرءاً عقلاً إلا استنقذه به يوماً».

وقال لقمان الحكيم لابنه: «كن عاقلاً أخرس، ولا تكن جاهلاً أفصح، واعلم أن لكل شيء علامة وعلامة العقل الفكر، ولزوم الصمت».

وقال أعرابي: «عداوة العاقل أقل ضرراً من مودة الجاهل».

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : «أسسَ الدين على العقل،

---

(١) دليل السائلين، أنس إسماعيل أبو داود، ص٤٣٥ – ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م – الناشر نفسه – جدة.

(٢) مصدر سابق.

وفرضت الفرائض على العقل، وحرمت المحارم على العقل، وما عرف قدر ما أعطيت، وما عُبد الله إلا بالعقل».

ومن أقوال بعض الصحابة – رضي الله عنهم – : «طوبى لمن كان عقله أميراً وهواه أسيراً، كان في الدنيا عزيزاً، وفي الآخرة شريفاً. وويلٌ لمن كان عقله أسيراً، وهواه أميراً كان في الدنيا فاجراً، وفي الآخرة خاسراً».

وقال بعض أهل المعرفة: «خلق الله تعالى العقل من أربعة أشياء: من العلم، والقدرة، والمشيئة، والنور».

سئل حكيم: أي شيء أزين؟

قال: الإسلام.

قيل: فما زين الإسلام؟

قال: العقل.

قيل: فما زين العقل؟

قال: العلم.

قيل: فما زين العلم.

قال: الحلم.

قيل: فما زين الحلم؟

قال: الكظم.

قيل: فما زين الكظم؟

قال: الصبر.

وقال صادق – رحمه الله – : «العقل أوله العلم، وأوسطه النية، وآخره الإخلاص».

وقال أحدهم: «العقل حُجّةُ الله، ودليل الله؛ لأنه آلة الاستدلال، وآلة كسب العلم، وآلة النظر في البراهين والآيات».

وقال حكيم: «العقلُ حياة الروح، والروح حياة الجسد».

وقال ابن الأعرابي – رحمه الله – : «لو صوّر الجهل لأظلم الشمس، ولو صور العقل لأضاء معه الليل»!

وسئل داوود – عليه السلام – عن الفرق بين العقل والهوى. فقال: «العقل الذي يدل على المعرفة بالله، والإيمان به، والانقطاع إليه. والهوى الذي يدل على الركون إلى الدنيا بطول الأمل والنظر فيما لا يعنيه».

وقال أحد الحكماء: «إن منزلة العبد عند الله بقدر عقله».

وعن حكيم أنه قال: «ركب الله العقل في الملائكة بلا شهوة، وركب في البهائم الشهوة بلا عقل، وركب في ابن آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خيرٌ من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شرٌّ من البهائم».

وقال الأنطاكي: «أنفع العقل ما عرّفك نعم الله عليك، وأعانك على شكرها، وأقام بخلاف الهوى».

وقال أحد الحكماء: «العقل نور وبصارة ما في القلب، منزلته عند القلب كمنزلة البصر من العين. وهو المانع الجامع، سمي عقلاً لمنعه النفس عن المناهي كلها شرعاً وطبعاً».

وقال يحيى بن معاذ – رحمه الله – : «من كان عقله أقل من علمه لا ينتفع بكثرة روايته».

وقال أحدهم: «عدوٌّ عاقل خير للمرء من الصديق الجاهل».

وحكي عن حكيم أنه قال: لما خلق الله العقل والصورة كما أراد، قرنه بعشرة أشياء: «جعل رأسه من الصبر، وعينه من العبرة، ووجهه من الحياء، وأذنيه من الخوف والرجاء، ولسانه من الذكر، وقلبه من النور، وبطنه من الحكمة، وظهره من العلم، ويديه من السخاء، ورجليه من التدبير» (١)

وقيل: العقل وزير ناصح، والهوى وكيل فاضح، والعجبُ ركوب زائح،

---

(١) تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الدقائق، محمود بن أحمد الغادياني. هذبه وخرج أحاديثه/ محمد خير رمضان يوسف، ص٤١، ط١: ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

والحسد قرين ذابح.

وحكي عن حكيم أنه قال: «العقل على أربعة أوجه: عقل إثباتٍ وحجة، وعقل علم ومعرفة، وعقل أدب وصيانة، وعقل طبع وغريزة».

فأما عقل الإثبات والحجة فقد أعطي للكافرين والمؤمنين، ولولا ذلك لم يقم عليهما من حجة. وأما عقل العلم والمعرفة فهو للمؤمن دون كافر، فيه قبول الأمر والنهي. وأما عقل الآداب والصيانة فيكون للمؤمن والكافر، وذلك بالتعلم والضبط والاستعمال، فرب كافرٍ تراه أديباً صائباً. وأما عقل الطبع والغريزة، فقد أعطي لكل ما دُبَّ على وجه الأرض من الأنعام والبهائم والحشرات والسوائم والوحوش والطيور، ولولا ذلك لم يعيشوا»[١]

وقال أبو حاتم – رحمه الله – : «العقل نوعان: مطبوع ومسموع، فالمطبوع منهما كالأرض، والمسموع كالبذر والماء. ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له عمل محصول دون أن يرد عليه العقل المسموع فينبهه من رَقدته، ويطلقه من مكامنه، يستخرج البذر والماء ما في قعور الأرض من كثرة الربع»، فالعقل الطبيعي من باطن الإنسان بموضع عروق الشجرة من الأرض، والعقل المسموع من ظاهره كتدلي ثمرة الشجرة من فروعها.

وقال أيضاً – رحمه الله – : «الواجب على العاقل: أن يكون بما أحيا عقله من الحكمة أكلَف[٢] منه بما أحيا جسده من القوت؛ لأن قوت الأجساد المطاعم، وقوت العقل الحكم، فكما أن الأجساد تموت عند فقد الطعام والشراب. وكذلك العقول إذا فقدت قوتها من الحكمة ماتت».

وقال أردشير بن بابك: «نمو العقل بالعلم».

وأخبرنا الحسين بن إسحاق الأصبهاني بالكرج، حدثنا محمد بن علي الطاحي، حدثنا عمرو بن عثمان الخزار الحراني، حدثنا مفضل بن صالح. قال

---

(١) مصدر سابق، ص٤١.

(٢) أكلف: أي أشد كلفاً، والكلف المحبة.

علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – «لما أهبط الله آدم أتاه جبريل، فقال: إني أمرت أن أخيرك في ثلاثة، فاختر واحدة، ودع اثنتين، فقال آدم: وما الثلاث؟ قال: الحياء والدين والعقل، فقال آدم: فإني قد اخترت العقل، قال: فقال جبريل للحياء والدين: انصرفا ودعاه، فقالا: إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان، ثم عرج جبريل. وقال: شأنكم» (١)

وقال أبو حاتم: «العقل دواء القلوب، ومطية المجتهدين، وبذر حراثة الآخرة، وتاج المؤمن في الدنيا، وعُدته في وقوع النوائب، ومن عدم العقل لم يزده السلطان عزّاً، ولا المال يرفعه قدراً، ولا عقل لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة دنياه، فكما أن أشد الزمانة الجهل، كذلك أشد الفاقة عدم العقل».

أخبرنا الحسن بن سفيان. حدثنا أبو كامل الجحدري، حدثنا عمران بن خالد الخزاعي. قال: سمعت الحسن يقول: «ما تم دينُ عبدٍ قط حتى يتم عقله» (٢)

وقال أبو حاتم: «من حَسُنَ عقله وقبح وجهه. فقد أفقد فضائل نفسه قبائح وجهه، ومن حَسُنَ وجهه وقل عقله فقد أذهب محاسن وجهه نقائص نفسه، فلا يجب للعاقل أن يغتم إذا كان معدماً «أي فقيراً» لأن العاقل قد يرجى له الغنى، (ولا) يوثق للجاهل المكثر ببقاء ماله، ومال العاقل عقله وما قدم من صالح عمله».

وقال عمر بن عبدالله بن عمر الهجري. حدثنا عبدالله بن خبيق. حدثنا موسى بن طريف. قال شعيب بن حرب: قال لي شعبة: «عقولنا قليلة، فإذا جلسنا مع من هو أقل عقلاً منا ذهب ذلك القليل، وإني لأرى الرجل يجلس مع من هو

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء – للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد وآخرون، ص٢١، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، دار المغني الرياض.

(٢) مصدر سابق، ص٢٠.

أقل عقلاً منه فأمقته»[(١)]

وقال أحدهم: «العاقل لا يقاتل من غير عُدة، ولا يخاصم بغير حجة، ولا يصارع بغير قوة؛ لأن بالعقل تحيا النفوس، وتنور القلوب، وتمضي الأمور، وتعمر الدنيا».

وقال بعض الحكماء: «أفضل الناس من عصى هواه، وأفضل منه من رفض دنياه، ولما كان الهوى غالباً، وإلى سبيل المهالك مورداً، جُعِلَ العقل عليه رقيباً مجاهداً، يلاحظ عثرة غفلته، ويدفع بادرة سطوته، ويوضح خداع حيلته؛ لأن سلطان الهوى قوي، ومدخل مكره خفي».

وقالوا: «العقل سلطانٌ وله جنود، فرأس جنوده التجربة، ثم التمييز، ثم الفكر، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم سرور الروح؛ لأن به ثبات الجسم، والروح سراجٌ نوره العقل، وما شيء أحسن من عقلٍ زانه أدب، ومن علمٍ زانه ورع، ومن حلم زانهُ رفق، ومن رفقٍ زانهُ تقوى».

وقال بعض الحكماء: «العقل ما عقل به عن السيئات، وحضٌّ القلب على الحسنات والعقل معقلٌ عن الدنيّات، ونجاة من المهلكات، والنظر في العواقب قبل حلول المصائب، والوقوف عند مقادير الأشياء قولاً وفعلاً لقوله ﷺ: «**اعقلها وتوكل**»[(٢)]. (رواه ابن حبان).

نقل ابن قتيبة في المعارف عن بعض الأكابر. قال: «اللب والعقل مائة جزء، تسعة وتسعون في النبي ﷺ وجزء في سائر الناس»[(٣)]

وقال الحسن البصري – رحمه الله: «أربع من كن فيه كان كاملاً، ومن تعلق بواحدة منهن كان من صالحي قومه: دينٌ يرشده، وعقلٌ يسدده، وحسبٌ

---

(١) المقت: أشد البغض.

(٢) سفينة الفرج فيما هب ودب ودرج، ص٥١٤.

(٣) العقل أصوله وميادينه في الحياة/ للشيخ محمد بن عبدالعزيز اللحيدان، ص٤٤.

يصونه، وحياءٌ يقوده».

وقال أحدهم: «العقل قوة يقتدر بها المرء على الاستمساك في مزالق الشهوات بين مهاب الأهواء».

قيل لعلي – رضي الله عنه – صف لنا العاقل؟ قال: «هو الذي يضع الشيء في مواضعه». وقيل: صف لنا الجاهل؟ قال: «قد فعلتُ» يعني الذي لا يضع الشيء في مواضعه».

وقال المنصور لولده: «لا تقل من غير تفكير ولا تعمل من غير تدبير».

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه: «أعقل الناس أعذرهم لهم».

سأل قيصر يوماً قس بن ساعدة: ما أفضل العقل؟

قال: معرفة المرء بنفسه.

وما أفضل العلم؟

قال: وقوف المرء عند علمه.

وما أفضل المروءة؟

قال: استبقاء الرجل ماء وجهه.

وما أفضل المال؟

قال: ما قضي به الحقوق.

وقال الإمام النووي – رحمه الله: ما ملخصه: واختلف الناس في محل العقل هل هو في القلب أم في الدماغ؟ فذهب أصحابنا من المتكلمين أنه في القلب وبه قال جمهور المتكلمين وهو قول الفلاسفة. وقالت الأطباء: هو في الدماغ، وهو محكي عن أبي حنيفة. واحتج أصحابنا بقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى

ﭐلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[(1)]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ ﴾[(2)]

وقوله ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**».

فجعل ﷺ صلاح الجسد وفساده تابعاً للقلب مع أن الدماغ من جملة الجسد. واحتج القائلون بالدماغ بأنه إذا فسد الدماغ فسد العقل.

أوصى المنصور العباسي ولده المهدي، ولي عهده قائلاً: «يا أبا عبدالله الخليفة لا يصلحه إلا التقوى، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة، والرعية لا يصلحها إلا العدل .. وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنقص عقلاً: من ظلم من هو دونه».

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «العاقل من لم يحرمه نصيبه من الدنيا حظهُ من الآخرة».

وقال في وصيته لابنه: «لا مال أعون من العقل، ولا فقر أشد من الجهل، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا مظاهرة كالمشاورة، ولا حسب كحسب الخلق».

كتب عمر بن عبدالعزيز – رضي الله عنه – إلى بعض عماله: «أما بعد، فإن العقل المفرد لا يقوى به على أمر العامة، ولا يكتفي به أمر الخاصة، فأحي عقلك بعلم العلماء والأشراف من أهل التجارب والمروءات والسلام».

وقال مطرف بن الشخير: «عقول كل قوم على قدر زمانهم».

وقال أحدهم: «كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فإنه كلما كثر غلا».

وقال العتيبي: «العقل نوعان: فأحدهما ما تفرد الله بصنعته، والآخر ما يستفيده المرء بأدبه وتجربته، ولا سبيل إلى العقل المستفاد إلا بصحبة العقل

---

(١) سورة الحج، الآية ٤٦.

(٢) سورة ق، الآية: ٣٧.

المركب، فإنهما إذا اجتمعا قوي كل منهما صاحبه، كما أن النار في الظلمة نور للبصر».

وقال أيوب ابن القرية: «الناس ثلاثة: عاقل وأحمق وفاجر، فالعاقل: الدين شريعته والحلم طبيعته والرأي الحسن سجيته، إن نطق أصاب، إن سمع وعي، وإن كُلِّم أجاب. والأحمق: إن تكلم عجل، وإن حدّث وهِل، وإن استنزل عن رأيه نزل. وأما الفاجر: فإن ائتمنته خانك، وإن صحبته شانك».

قيل: «ست خصال تعرف في الجاهل: الغضب في غير شيء، والكلام في غير نفع، والعطية في غير موضعها، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، ولا يعرف صديقه من عدوه».

وقال سعيد بن جبير - رضي الله عنه - «ما رأيت للإنسان لباساً أشرف من العقل؛ فإن انكسر صححه .. وإن وقع أقامه .. وإن ذل عزه .. وإن سقط في هوة جذبه واستنقذه منها .. وإن افتقر أغناه .. فأول شيء يحتاج إليه البليغ العلم الممتزج بالعقل».

وقال بعض الأدباء: «صديق كل امرئ عقله، وعدوُّه جهله».

سئل بعض الحكماء عن أعدل الناس وأجور الناس، وأكيس الناس، وأحمق الناس، وأسعد الناس» .. فقال: «أعدل الناس: من أنصف نفسه وأجور الناس: من رأى جوره عدلاً. وأكيس الناس: من أخذ أهبة الأمر قبل نزوله، وأحمق الناس: من باع آخرته بدنيا غيره. وأسعد الناس: من ختم له في عاقبة أمره بخير».

وقال أحدهم: «اعلم يا بني - وفقك الله للصواب - أنه لم يتميز الآدمي بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه، فاستحضر عقلك، وأعمل فكرك، واخل بنفسك، تعلم بالدليل أنك مخلوق مكلف، وأن عليك فرائض أنت مطالب بها، وأن الملكين يحصيان ألفاظك ونظراتك، وأن أنفاس الحيّ خطاه إلى أجله، ومقدار اللبث في

الدنيا قليل، والحبس عند القبور طويل، والعذاب على موافقة الهوى وبيل».

كان يحيى بن خالد يقول: «ثلاثة أشياء تدل على أربابها: الكتاب على مقدار عقل كاتبه، والرسول على مقدار عقل مرسله، والهدية على مقدار عقل مهديها».

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – : «صدر العاقل صندوق سرِّه».

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – يوصي ابنه الحسن: «يا بني احفظ عني أربعاً وأربعاً لا يضرك ما عملت معهن: أغنى الغنى العقل. وأكبر الفقر الحمق. وأوحش الوحشة العجب. وأكرم الحسب حُسن الخُلق. يا بني إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك. وإياك ومصادقة البخيل فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه. وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه. وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب».

وقال أيضاً – رضي الله عنه – : «إذا تم العقل نقص الكلام».

وقال عمر بن عبدالعزيز – رضي الله عنه: «خصلتان لا تعدمك إحداهما من الأحمق أو قال: من الجاهل: كثرة الالتفات، وسرعة الجواب».

وقال بعض الحكماء: «ينبغي للعاقل أن يتمسك بست خِصال: أن يحفظ دينه، ويصون عرضه، ويصل رحمه، ويحفظ جاره، ويرعى حق إخوانه، ويخزن عن البذاء لسانه».

وقال الحسن البصري – رحمه الله: «صلة العاقل لدين الله، وهجران الأحمق قربة إلى الله. وإكرام المؤمن خدمة لله، وتواضع له».

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – «الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاستر خلل خلقك بحلمك. وقاتل هواك بعقلك».

وقال أحدهم: «إن العقل قادر على أن يصنع من الجحيم نعيماً، ويصنع

من النعيم جحيماً».

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – : «ثلاثة يرحمون عاقل يجري عليه حكم جاهل، وضعيف في يد ظالم قوي، وكريم قوم احتاج إلى لئيم».

وكان الحسن البصري – رحمه الله – إذا أُخبر عن أحد بصلاح، قال: «كيف عقله»؟ ثم يقول: «ما يتم دين امرئٍ حتى يتم عقله»..

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – : «عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح».

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله – «أربعة تزيد في العقل: ترك الفضول من الكلام، وترك السؤال. ومجالسة الصالحين، ومجالسة العلماء».

وقال أبو حاتم – رحمه الله: «الأحمق يتوهم أنه أعقل من رُكِّب فيه الروح، وأن الحمق قُسّم على العالم غيره، والأحمق مُبغض في الناس، مجهول في الدنيا، غير مرضي العمل، ولا محمود الأمر عند الله وعند الصالحين، كما أن العاقل محبوب إلى الناس، مسوَّد في الدنيا، مرضي العمل عند الله في الآخرة، وعند الصالحين في الدنيا».

وقال عبدالله بن موسى البصري، حدثنا العتبي، قال: سمعت أعرابياً، يقول: «العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أسرُّ منه بلين العيش مع السفهاء».

وقال الأبشيهي: «يستدل على رجاحة عقل الرجل بأمور متعددة منها: ميله إلى محاسن الأخلاق، وإعراضه عن رذائل الأعمال، ورغبته في إسداء صنائع المعروف، وتجنبه ما يكسبه عاراً ويورثه سوء السمعة».

وقال عبدالملك بن مروان: «يستخدم الإنسان عقله دائماً في حل المشكلات العويصة، ولكن العقل دائماً لا يستغنى عن التجارب؛ لأنها هي التي تمحص له الحقائق مقدمة له معها البرهان».

وقال لقمان الحكيم: «العقل بلا أدب كالشجرة العاقر، والعقل مع الأدب

كالشجرة المثمر».

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : «العاقل الكريم صديق كلِّ أحد، إلا من ضَرَّهُ، والجاهل اللئيم عدوٌّ لكل أحد إلا من نفعه».

وقال بعض السلف: إن من علامات العاقل: «برُّه بإخوانه، وحنينه إلى أوطانه، ومداراته لأهل زمانه».

وقال أحد التابعين: «ليس الإنسان الصورة .. إنما العقل».

وقيل: «حدث العاقل بما لا يليق. فإن صدق فلا عقل له».

وقال أحد الحكماء: «تفقد عقلك في أربعة مواضع: عندما يثير الشيطان أهواءك، وعندما تخاطب المرأة عواطفك، وعندما يثير المال طمعك، وعندما يثير الشبع شهواتك».

وقال ابن الجوزي – رحمه الله: «من علامة إكمال العقل: علو الهمة! والراضي بالدون دنيء».

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – «يا ربِّ: من رزقته العقل فماذا حرمته؟ ومن حرمته العقل فماذا رزقته»؟!

وقال بعض العلماء: «التمس وُدَّ الرجل العاقل في كل حين، وودَّ الرجل ذي النكر في بعض الأحايين، ولا تلتمس ود الرجل الجاهل في حين».

وقال علي بن هندو البغدادي: «العاقل لا يكلف نفسه ما لا تطيق، ولا يسعى فيما لا يدرك، ولا ينظر فيما يعنيه، ولا ينفق إلا بقدر ما عند صاحبه من الاستطاعة».

وللأستاذ الفاضل: محمد خير رمضان يوسف كلام عن العاقل والعقل حيث يقول[1]:

- العاقل لا يسلك مسالك مجهولة.

---

(١) هكذا قلت، ص٩٠، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار ابن حزم بيروت – لبنان.

- العاقل لا يفتر مهما أصاب؛ لأنه يحسب حساب الفشل كما يحسب حساب النجاح. ولأنه يعلم أن لا كمال للعقل أصلاً.
- العقل سيد الحواس. ألا ترى عالماً أعمى يوجه أمة من المبصرين؟ وهذه حواس بلا عقل .. ألا ترى طفلاً مميزاً يستطيع أن يوجه مجنوناً ولو كان كبيراً؟
- إذا كانت سلامة العقل أهم من سلامة الحواس، فإن المرء إذا لم يستعمل حواسه بشكل طبيعي فهو غير عاقل أيضاً، ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١)
- وروي ابن الجوزي عن وهب بن منبه أن لقمان الحكيم – عليه السلام – قال لابنه: يا بني: أعقل عند الله عز وجل، فإن أعقل الناس عند الله عز وجل أحسنهم عملاً. وإن الشيطان ليفرّ من العاقل وما يستطيع أن يكايده (٢)
- ويقول لقمان لابنه: ما عُبد الله بشيء أفضل من العقل، وما يتمُّ عقل امرئٍ حتى يكون فيه عشر خصال: الكبر منه مأمون، والرشد منه مأمول، يصيب من الدنيا القوت، وفضل ماله مبذول، التواضع أحب إليه من الكبر، والذل أحب إليه من العز، لا يسأم من طلب الفقه طول دهره. ولا يتبرَّم من طلب الحوائج من قبله، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقلُّ الكثير من نفسه. وأن يرى جميع الناس خيراً منه، وأه شرهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧١.

(٢) لقمان الحكيم وحكمه، محمد خير رمضان يوسف، ص١٠٦، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠ هـ، ط٣.

أمثال وحكم في العقل [(١)]

- «إذا قل عقل المرء قلت همومه»، (أبي العلاء المعري).
- «لا مال أعون من العقل، ولا مصيبة أعظم من الجهل»، (جعفر الصادق).
- «إذا أحسنتم استعمال عقولكم كسبتم الدنيا»، (نجيد).
- «عبقرية العقل تخلق الحساد، وعبقرية القلب تخلق الأصدقاء»، (عباس محمود العقاد).
- «كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل والعقلاء»، (توفيق الحكيم).
- «العقول الصغيرة تجرحها الأمور الصغيرة، أما العقول الكبيرة فتحتمل أشدها دون تأثر».
- «لو كانت العلوم تحصل بالمنى، لم يبق أصلاً، في البرية جاهل».
- عندما تعيش مع عقلك، فلا أهمية للمكان الذي يحتله جسمك».
- «فقر العاقل خير من ثراء الأحمق»، (فيلسوف إغريقي).
- «أفضل الأشياء التعلم، فالمال يُسرق، والصحة تعتلُّ، والقوة توهن، إن ما تخزنه في عقلك يبقي لك الحياة»، (لؤي الأموي).

واختم بهاتين القصتين [(٢)]:

دخل رجلان على داوود – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم – أحدهما: صاحب غنم، والآخر: صاحب حرث (الزرع)، فقال أحدهما: إن هذا دخلت غنمه بالليل إلى حرثي فأهلكته وأكلته ولم تُبقِ لي فيه شيئاً.

---

(١) بدائع الزهور المختارة، ص٨٦.

(٢) دليل السائلين، أنس إسماعيل أبو داود، ص٤٣٦، ط١، الناشر نفسه، جدة.

فقال داود – عليه السلام – الغنم لصاحب الحرث عوضاً عن حرثه. فلما خرجا من عنده مرّا على سليمان – عليه السلام – وكان عمره إذ ذاك إحدى عشرة سنة، فقال لهما: ما حكَمَ بينكُما الملك؟ فذكرا له ذلك. فقال: غير هذا أوفق بالفريقين. فعادا إلى داود – عليه السلام – وقالا له ما قاله ولده سليمان – عليه السلام – فدعاه داود – عليه السلام – وقال له: ما هو الأوفق بالفريقين؟ فقال سليمان: تسلّم الغنم إلى صاحب الحرث – وكان الحرث كرماً قد تدلّت عناقيده – فيأخذ صاحب الكرم الأغنام يأكل لبنها وينتفع بدرّها ونسلها، ويسلّم الكرْم إلى صاحب الأغنام ليقوم به، فإذا عاد الكرْم إلى هيئته وصورته التي كان عليها ليلة دخلَت الغنمُ إليه سلّم صاحبُ الكرْم الغنم إلى صاحبه وتسلّمَ كرْمه كما كان بعناقيده وصورته. فقال له داود – عليه السلام – : القضاءُ كما قلت. وحكم به كما قال سليمان – عليه السلام – وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وحكي أن أحمقين اصطحبا في طريق، فقال أحدهما للآخر: تعال نتمنّ على الله. فإن الطريق تُقطع بالحديث.

فقال أحدهما: أنا أتمنى قطائع غنم أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها.

وقال الآخر: أنا أتمنى قطائعِ ذئاب أرسلها إلى غنمك حتى لا تترك منها شيئاً.

قال: ويحك أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة؟

فتصايحا وتخاصما، واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالأطواق، ثم تراضيا من أن أول من يطلع عليهما يكون حكماً بينهما. فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل، فحدثاه بحديثهما، فنزل بالزقين، وفتحهما حتى سال العسل على التراب. قال: صبَّ الله دمي مثل هذا العسل إن لم تكونا أحمقين.

أبيات من الشعر قيل في العقل

• قال الشاعر إبراهيم بن حسّان:

يزين الفتى في الناس صحة عقله　　وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
يشين الفتى في الناس قلة عقله　　وإن كان أعراقه ومناسبه
يعيش الفتى بالعقل في الناس إنه　　على العقل يجري علمه وتجاربه
وأفضل قسم الله للمرء عقله　　فليس من الأشياء شيء يقاربه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله　　فقد كملت أخلاقه ومآربه

• وقال شاعر آخر:

تأمَّلْ بعينيك هذا الأنام　　وكن بعض من صابه نَبْلُهُ
فحيلةُ كل فتىً فضْلُهُ　　وقيمةُ كلُ امرئٍ عقله
ولا تتكل في طلاب العُلا　　على نسبٍ ثابتٍ أصلهُ
فما من فتى زانه أهلُهُ　　بشيءٍ وخالفهُ فعْلَهُ

• وقال آخر:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله　　وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى　　حتى يراقَ على جوانبه الدمُ

• وينشد بعضهم:

إذا كنت ذا عقلٍ صحيح فلا يكن　　عشيرك إلا كلُّ من كان ذا عقلِ
فذو الجهل إن عاشرته أو صحبته　　يضلك[1] عن عقلٍ ويغويك بالجهل

---

(١) يضلك: يسلبك.

- وأنشد المنتصر بن بلال بن المنتصر الأنصاري:

ألم تـر أن العقـل زيـن لأهلـه وأن كمـال العقـل طـول التجارب

- وقال أحد الشعراء:

عـدوك ذو العقـل خـير لـك مـن الصـديق الوامـق الأحمـق

فمـا أحكـم الـرأي مـثل امـرئٍ يقـيس بمـا قـد مضـى مـا بقـي

- وقال شاعر آخر:

فـلا تصـحب أخـا الجهـل وإيـاك وإيـاه

فكـم مـن جـاهل أردى حلـيماً حـين آخـاه

- وقال آخر:

رأيـت العقـل نوعـين فمسـموعٌ ومطـبوعُ

ولا يـنفع مسـموعٌ إذا لم يـك مطـبوعُ

كمـا لا تـنفع الشـمس وضـوء العـين ممـنوعُ

- وقال آخر:

العقـل يأمـر بالعفـاف وبالـتُّقى وإليـه يـأوي الحـلم حـين يـؤول (١)

فإن استطعت فخذ بفضلك فضله إن العقـول يُـرى لهـا تفضـيلُ

- وقال آخر:

إذا طـال عمـر المـرء في غـير آفـةٍ أفـادت لـه الأيـام في كـرها عقـلا



---

(١) يؤول: يرجع.

أقوال في العلم والعلماء

العلم

العلم في اللغة:

العِلْمُ: نقيض الجهل، عَلم عِلماً وعَلُمَ هو نفسه، ورجل عالمٌ وعليمٌ من قوم عُلماء فيهما جميعاً (١)

والعلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع، سواء كان ذلك الشيء من المحسوسات أو المغيبات. وهو حياة النفوس، وغذاء النفوس، ونور العقول والأبصار. وطلب العلم باب من الأبواب التي فتحها الإسلام، وعمل حضّ عليه، يؤجر فيه المرء ويحاسب على تركه، والعلم حالة من المعرفة تنقل الإنسان من الظلام إلى النور.

قال بعض العارفين: العلوم منحصرة في ثلاث (٢)

أولاً: علم يتعلق بالدنيا وأسبابها وما يصلح فيها.

ثانياً: وعلم يتعلق بالآخرة وما يوصل إليها.

ثالثاً: وعلم يتعلق بالحق علم أذواق وشرب، فالأنبياء جمعوا هذه العلوم ثم ورثها عنهم من تأهل لرتبة الوراثة وما عداهم فإنما يتعلق بالبعض.

لقد اهتم الإسلام بالعلم اهتماماً بالغاً، وأشاد به وبأهله، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا الجانب كثيرة جداً، ومما ورد في ذلك قوله سبحانه

---

(١) انظر لسان العرب: ١٢/ ٤١٧.

(٢) انظر كتاب رحلة العلماء في طلب العلم/ أبو أنس ماجد البنكالي، ص٢٦، ط١ – دار النفائس – عمان – الأردن ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٤م.

وتعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[1]

ويكفي العلم والعلماء شرفاً ورفعةً أن الله عز وجل استشهدهم على أجلّ مشهود وهو التوحيد، وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[2]

والحكمة من العلم ما يكون فرض عين على كل مسلم، مثل تعلم الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، وما شابه ذلك من الأعمال التي يحتاجها المسلم في حياته اليومية، فيكون عليه فرض أن يتعلم كيف يصلي مثلاً، أو كيف يحج أو أحكام الصيام .. إلخ.

قال بعضهم: سُمي العلم علماً؛ لأنه علامةٌ يهتدي به العالم إلى ما جهله الناس، وهو بمنزلة العَلَم المنصوب على الطريق، والعلم، والمعلم، والعلامة. اشتقاقها من لفظ واحد. أكتفي إلى هنا. ومن أراد التفاصيل فليراجع كتب العلم.

العلم من البيان الإلهي:

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (٢)

وقال الله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (٣)

وقال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٤)

وقال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ (٥)

العلم من البيان النبوي:

عن أنس – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم، وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر**» (٦)

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم. فمن أخذه أخذ بحظ وافر**» (٧)

وعن جندب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل الذي يُعلّم**

---

(١) سورة آ عمران، الآية: ٧.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٤) سورة العلق، الآيات: ١ – ٥.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

(٦) صحيح الجامع، برقم: ٣٩١٤.

(٧) صحيح الجامع، ٦٢٩٧.

الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرقُ نفسه» (١)

وعن أبي برزة الأسلمي – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه فيم فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه**» (٢)

وقال ﷺ: «**إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه**» (٣)

وقال النبي ﷺ: «**من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع**» (٤)

وعن سهل بن سعد – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال لعلي – رضي الله عنه: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيرٌ من حمر النعم**» (٥)

وعن معاوية – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يرد به خيراً يفقهه في الدين**» (٦)

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» (٧)

---

(١) أخرجه الطبراني.

(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٣) أخلاق العلماء تحقيق، أمينة عمر الخراط، ص٨٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. دار القلم، دمشق – دار البشير، جدة.

(٤) رواه الترمذي. وقال حديث حسن غريب.

(٥) متفق عليه.

(٦) متفق عليه.

(٧) رواه مسلم.

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**» (١)

وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي**» (٢)

وروى ابن ماجة من حديث جابر – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: «**سلوا الله علماً نافعاً، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع**».

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل**» (٣)

قلة العلم وفشو الجهل من العلامات التي ظهرت منذ أزمان متطاولة، وهي لا تزال مستمرة في الظهور حتى تقوم الساعة. والعلم المراد به هو علم الكتاب والسنة، وهو العلم الموروث عن الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – فإن العلماء هم ورثة الأنبياء.

وأما علم الدنيا فإنه في زيادة وليس هو المراد في الحديث والله المستعان(٤)

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه البخاري: ١/ ٢٣٥، ومسلم: ١٦/ ١٦٨.

(٤) علامات الساعة الصغرى والكبرى، إعداد عيسى بن إبراهيم آل مانع – ص: ٢٧ – ٢٨، ط٢، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، دار طويق للنشر والتوزيع.

أخي القارئ – العلم في الرؤية يدل على الزواج فمن رأى كأنه عالم فإنه يتزوج. ومن تسمى في المنام باسم علم أو نشر له، أو أعطي علماً فبشارة له بالذكر الجميل، والاهتداء بعلمه أو طريقه، ونشر علمه في الوجود أو سلطانه. والعلم في المنام بالله أو بالسنة النبوية دال لمن يجهل ذلك على الرحمة من الله واللطف وإن علم سحراً أو ما شاكله، دل على بدعته وضلالته [١]. ورؤية العلماء زيادة في علم الرائي، لأنهم نصحاء الله في أرضه. والله أعلم.



(١) تعطير الأنام في تعبير الأنام، الشيخ عبدالغني النابلسي، ص٣١١، ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، دار المعرفة – بيروت.

أقوال السلف عن العلم

أخرج عن كثير بن قيس: كنت جالساً عند أبي الدرداء في مسجد دمشق فأتاه رجل فقال: يا أبا الدرداء أتيتك من المدينة، مدينة رسول الله ﷺ لحديث بلغني أنك تحدّث به عن النبي ﷺ، قال: فما جاء بك تجارة؟ قال: لا. قال: ولا جاء بك غيره؟ قال: لا قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السموات والأرض، حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**».

وقال لقمان الحكيم لابنه: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله سبحانه وتعالى يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء».

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – : «العلم خيرٌ من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق، والعالم أفضل من الصّائم القائم المجاهد، وإذا مات العالِم ثَلَمَ في الإسلام ثلمةٌ لا يسدها إلا خلفٌ منه».

وقال أحدهم: «إن العلم قبسٌ من نور الله، وقد خلق الله النور كاشفاً مبصراً ولآداً للحرارة والقوة، وجعل العلم مثله وضاحاً للخير، فضاحاً للشر، يولد في النفوس حرارة وفي الرؤوس شهامة».

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله – «ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم فهو نور يهتدي به الحائر».

وقال ابن عباس – رضي الله عنه – «خُيِّر سليمان بن داود – عليه السلام – بين العلم والمال والملك. فاختار العلم فأعطى المال والملك معه».

وقيل: «العلماء سراج الأزمنة، فكل عالم مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره».

وعن الحسن قال: «العالم خير من الزاهد في الدنيا، المجتهد في العبادة»[1]

وعن أبي قلابة قال: العلماء كمثل النجوم التي يهتدى بها، والأعلام التي يقتدى بها فإذا تغيبت تحيروا وإذا تركوها ضلوا»[2]

وعن ابن سيرين أنه قال: «إن قوماً تركوا العلم فاتخذوا محاريب وصلوا فيها وصاموا حتى يبس جلد أحدهم على عظمه، ثم خالفوا السنة فهلكوا، فلا والله الذي لا إله غيره ما عمل عامل قط على جهل إلا كان ما يفسد منه أكثر مما يصلح»[3]

عن ابن وهب قال: كنت عند مالك بن أنيس فجاءت صلاة الظهر أو العصر وأنا أقرأ عليه، وأنظر في العلم بين يديه، فجمعت كتبي وقمت لأركع، فقال لي

---

(١) جامع بيان العلم: ١/ ١٢٠.

(٢) الحلية: ٢/ ٢٨٣.

(٣) من أخبار السلف/ زكريا بن غلام قادر الباكستاني، ص٤٠، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م - مكتبة الرشد - الرياض.

مالك: ما هذا؟ قلت: أقوم للصلاة، قال: إن هذا لعجب، فما الذي قمت إليه بأفضل من الذي كنت فيه إذا صحت النية فيه [(١)]

وعن عمر بن عبدالعزيز – رضي الله عنه – قال: «من عمل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح» [(٢)]

وقال أبو الأسود الدؤلي – رحمه الله: «ليس شيء أعزُّ من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك».

وقال الإمام مالك – رضي الله عنه – : «ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم نور يجعله الله تعالى في القلوب».

وقال عيسى – عليه السلام: «من عَلم وعَلَّم وعمل فذاك يُدعى عظيماً في ملكوت السموات».

وعن الحسن البصري – رحمه الله – قال: «لباب واحد من العلم أتعلمه أحب إلي من الدنيا وما فيها» [(٣)]

وعن الزهري قال: «تعلم سنة أفضل من عبادة مائة سنة» [(٤)]

وقيل لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ قال: إلى الممات [(٥)]

وعن الحسن البصري قال: «من استمر على طلب العلم بالحياء لبس

---

(١) جامع بيان العلم: ١/ ١٢٣.

(٢) مصدر سابق: ١/ ١٣١.

(٣) من أخبار السلف، ص٤١.

(٤) الأمالي للشجري: ١/ ٦٦.

(٥) جامع بيان العلم: ١/ ٤٠٦.

للجهل سرباله، فاقطعوا سرابيل الجهل عنكم بدفع الحياء في العلم، فإنه من رقَّ وجهه رقَّ علمه [(١)]

وعن أبي الدرداء قال: «إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي: قد علمت فماذا عملت فيما علمت»؟

وعن جعفر بن يرقان قال: سمعت ميمون بن مهران يقول: إن هذا القرآن قد خلف في صدر كثير من الناس والتمسوا ما سواه من الأحاديث وأن فيمن يتبع هذا العلم من يتخذه بضاعة يلتمس بها الدنيا، ومنهم من يريد أن يشار إليه ومنهم من يريد أن يُماري به، وخيرهم من يتعلمه ويطيع الله عز وجل [(٢)]

وعن مالك بن دينار قال: «إذا طلب الرجل العلم ليعمل به سرَّهُ علمه، وإذا طلب العلم لغير أن يعمل به زاده علمه فخراً» [(٣)]

وعن الحسن البصري قال: «الذي يفوق الناس في العلم جدير أن يفوقهم في العمل» [(٤)]

وقال الحواريون لعيسى – عليه السلام – علمنا العلم الأكبر؟ فقال لهم عيسى – عليه السلام – : ما العلم الأكبر إلا بثلاثة أشياء:

١- الخوف من الله.

٢- والحياء من الله.

---

(١) جامع بيان العلم: ١/ ٣٨٣.

(٢) من أخبار السلف/ زكريا بن غلام قادر الباكستاني، ص٤٥.

(٣) روضة العقلاء / ٣٥.

(٤) جامع بيان العلم: ١/ ٧٠٦.

٣- والرضا بقضاء الله تعالى.

وقال زبير بن أبي كعب لابنه: «عليك بالعلم، فإنك إن افتقرت كان لك مالاً، وإن استغنيت كان لك جمالاً».

وقال الأصمعي - رحمه الله: «أول العلم الصمت. والثاني الاستماع والثالث الحفظ، والرابع العمل به، والخامس نشره».

وقال بعض العلماء: «تعلّم العلم فإنه يقومك، ويسددك صغيراً، ويقدمك ويسودك كبيراً، ويصلح زينك وفاسدك، ويرغم عدوك وحاسدك، ويقوِّم عوجك وميلك، ويصحح همتك وأملك».

وقال المنصور بن المعتمر - رحمه الله - كان يقول للعلماء: «أنتم متلذذون، يسمع أحدكم العلم ويحكيه، وإنما يُراد من العلم العمل، ولو عملتم بعلمكم لهربتم من الدنيا؛ لأن العلم ليس فيه شيء يدل على حبِّها».

وقال مالك بن دينار - رحمه الله: «إذا تعلم العبد العلمَ ليعمل به كثُر علمه، وإذا تعلمه لغير العمل زاد فجورهُ وتكبرُّهُ واحتقارهُ للعامة».

وقال إبراهيم بن يزيد النخعي - رحمه الله: «إن الرجل يتكلم بالكلمة من العلم ليصرف بها وجوه الناس إليه يهوي بها جهنم، فكيف بمن كان ذلك نيته من أول جلوسه إلى أن يفرغ».

وكان عروة بن الزبير - رحمه الله - يقول لأولاده: «تعلموا العلم، فإنكم إن تكونوا صغاراً فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين».

وقال عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - : «لا يكون الرجل من أهل العلم حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من تحته، ولا يبتغي بالعلم ثمناً».

وقال الحسن بن علي – رضي الله عنهما: «تعلموا العلم، فإن لم تستطيعوا حفظهُ فاكتبوه وضعوه في بيوتكم».

وقال أبو مسلم الخولاني – رحمه الله: «العلماء ثلاثة: عالم عاش بعلمه وعاش الناس به، وعالم عاش بعلمه ولم يعش به الناس، وعالم عاش الناس بعلمه وأهلك نفسه».

وقال لقمان الحكيم: «اقتدوا بعلم العلماء ولا تقتدوا بفعلهم، واقتدوا بفعل الزهاد ولا تقتدوا بجهلهم».

وقال نافع بن يزيد: يقال: «الراسخون في العلم: المتواضعون لله، والمتذللون لله في مرضاته لا يتعاطون من فوقهم، ولا يحقرون من دونهم».

وقال الحسن البصري – رحمه الله: «العلم علمان: علم على اللسان، فذاك حجة الله على ابن آدم، وعلم في القلب فذاك العلم النافع».

روي أن عبدالله بن سلام – رحمه الله – لقي كعب الأحبار عند عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال: يا كعب، من أرباب العلم؟ قال: الذين يعملون به، قال: فما يذهب بالعلم من قلوب العلماء بعد إذ حفظوه وعقلوه؟ قال: يذهب الطمع، وشرهْ النفس، وتطلب الحاجات إلى الناس، قال: صدقت.

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – : «تعلموا العلم، وعلموه الناس، وتعلموا الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه ولمن علمتموه، ولا تكونوا جبارة العلماء فلا يقوم جهلكم بعلمكم».

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه: «تعلموا كتاب الله تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله».

وقال الشعبي: «لا تقوم الساعة حتى يصير العلم جهلاً، والجهل علماً».

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «العلم يكسب العالم طاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، وصنعة المال تزول بزواله».

وقال عمر بن عبدالعزيز – رضي الله عنه – «إن استطعت فكن عالماً، فإن لم تستطع فكن متعلماً. فإن لم تستطع فأحببهم. فإن لم تستطع فلا تبغضهم».

وقال الإمام مالك بن أنس – رحمه الله: «العلم ليس بكثرة الرواية، بل نور يضعه الله في القلب يفرق بين الحق والباطل».

وقال عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – «إذا أردتم العلم فانثروا القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين».

وقال عمر بن عبدالعزيز – رضي الله عنه – «ثلاثة من آفات العلم العجرفة، والكفر، والنسيان».

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – : «كفى بالعلم شرفاً أنه يدعيه من لا يحسنه، ويفرح إذا نسب إليه من ليس من أهله. وكفى بالجهل خمولاً أنه يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه».

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – «أقل الناس قيمة أقلهم علماً، وقال: العلم نهر والحكمة بحره، والعلماء حول النهر يطوفون والحكماء وسط البحر يغوصون، والعارفون في سفن النجاة يسيرون».

وقال سلمان الفارسي – رضي الله عنه – : «إن العلم كالينابيع يغشاهن الناس، فيختلجه هذا وهذا، فينفع الله به غير واحد. وإن حكمة لا يتكلم بها

كجسد لا روح فيه، وإن علماً لا يخرج ككنز لا ينفق منه. وإنما مثل العالم كمثل رجل حمل سراجاً في طريق مظلم يستضيء به من مرَّ به، وكل يدعو له بخير».

وقال سعيد بن جبير - رضي الله عنه - : «لأن أنشر علمي أحب إليّ من أن أذهب به إلى قبري».

وقال الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - «من تعلم العلم للدنيا حُرِمَ بركته ولم ينتفع به أحد، ومن تعلم للدين بورك في علمه ورسخ في قلبه وانتفع المقتبسون منه بعلمه».

وقال الإمام مالك بن أنس - رحمه الله: «إذا منع العلم عن العامة، فلا خير فيه للخاصة».

وقال الإمام مالك بن أنس - رحمه الله: «لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفه، وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذبُ في حديث، وإن كنت لا أتهمه في الحديث، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به».

وقال الإمام مالك بن أنس - رحمه الله: «العلم نور لا يأنس إلا بقلب تقي خاشع».

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله:

حسبي بعلمي إن نفع ... ما الذل إلا في الطمع
من راقب الله رجع ... عن سوء ما كان صنع
ما طار طير وارتفع ... إلا كما طار وقع

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله: «لأن أتكلم في علم يقال لي فيه:

أخطأت، أحب إليّ من أن أتكلم في علم يقال لي فيه: كفرت».

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله: «وإذا ما ازددت علماً زادني علماً بجهلي».

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله: «من تعلّم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل مقداره، ومن تعلم اللغة رقّ طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن لم يغن نفسه لم ينفعه علمه».

وقال الإمام الشافعي – رحمه الله: «لا يحتاج طالب العلم إلى ثلاث خصال: أولها طول العمر، والثانية: سعة اليد، والثالثة الذكاء». قال الخطيب البغدادي – رحمه الله – : أما طول العمر فإنما يقصد به دوام الملازمة للعلم. وأراد سعة اليد ألا يشتغل بالاحتراف وطلب التكسب، فإذا استعمل القناعة أغنته عن كثير من ذلك. وإن رزقه الله تعالى الذكاء فهو أمارة سعادته وسرعة بلوغه إلى بغيته».

وقال الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله: «العلم لا يعدله شيء إذا كان خالصاً».

وقال الإمام حسن البصري – رحمه الله: «يوزن مداد العلماء بدم الشهداء».

وقال الإمام مالك – رحمه الله: «العلم يؤتى ولا يأتي».

وقال الفضيل بن عياض – رحمه الله: «إنما هما عالمان فعالم الدنيا علمه منشور، وعالم الآخرة علمه مستور، احذروا عالم الدنيا لا يضركم بسكره، العلماء كثير والحكماء قليل».

وقال الإمام مالك بن دينار – رحمه الله: «العلم قائد، والعمل سائق، والنفس حرون فإن كان قائداً بلا سائق بلدت، وإذا كان سائق بلا قائد عدلت يميناً وشمالاً فإذا اجتمعا أنابت طوعاً وكرهاً».

وقال الإمام مالك بن دينار – رحمه الله: «من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفي. ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة».

وقال الإمام سفيان الثوري – رحمه الله: «إنما يطلب العلم ليتقى الله به، فمن ثمَّ فضل، فلولا ذلك لكان كسائر الأشياء».

وقال الكرابيسي – رحمه الله: «ما رأيت مجلساً قط أنبل من مجلس الشافعي، كان يحضره أهل الحديث، وأهل الفقه، وأهل الشعر، وكان يأتيه كبار أهل اللغة والشعر، فكل يتكلم منه».

وقال الإمام سفيان الثوري – رحمه الله: «مثل العالم مثل الطبيب، لا يضع الدواء إلا على موضع الداء».

وقال أيضاً – رحمه الله: «الأعمال السيئة داء والعلماء دواء. فإن فسد العلماء فمن يشفي الداء».

وقال أحدهم: «العلم بذر والعمل زرع وماؤه الإخلاص».

وقال الإمام سفيان بن عيينة – رحمه الله: «العلماء ثلاثة: عالم بالله، وعالم بأمر الله، وعالم بالله وبأمر الله .. فأما العالم بالله – أي مجرد العلم النظري – فهو الذي يعلم السنة ولا يخاف الله. وأما العالم بالله فهو الذي يخاف الله ولا يعلم السنة، أي علماً كسبياً – وأما العالم بالله وبأمر الله فهو الذي يعلم السنة ويخاف الله، فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السموات.

وقال الإمام سفيان بن عيينة – رحمه الله: «إنما العالم مثل السراج من جاءه اقتبس من علمه ولا ينقصه شيئاً، كما لا ينقص القابس من نور السراج شيئاً».

وقال أحدهم: «تحصن لدنياك بالعلم، ولآخرتك بالتقوى».

وقال أحدهم: «خيركم من تعلم العلم وعلمه، فالعلم زينة العالم والمتعلم».

وقال الزهري: «إنما يذهب العلم: النسيان، وترك المذاكرة».

وقال معاذ بن جبل – رضي الله عنه: «تعلّموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عباده، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والزين عند الأخلاّء والقريب عند الغرباء، ومنار سبيل الجنة. يرفع الله تعالى به أقواماً، فيجعلهم الله في الخير قادة، وهداة يقتدى بهم، أدلة في الخير، تُقتص آثارهم، وتُرمقُ أعمالهم، ويقتدى بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، حتى كل رطب ويابس لهم مستغفر، حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البرِّ ونعامه، والسماء ونجومها؛ لأن العلم حياة القلوب من العمى، ونور الأبصار من الظلم، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى، والتفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الله تعالى، وبه يعبد، وبه يوحَّد، وبه يتورَّع، وبه توصل الأرحام، العلم إمام والعمل تابعه، تُلهَمُهُ السعداء، وتُحْرَمُهُ الأشقياء».

أخرج القاضي عياض في «الإلماع» عن ابن شهاب الزهري أنه قال ليونس بن يزيد: «يا يونس: لا تك بد العلم، فإن العلم أودية، فأيها أخذت فيه قطع بك قبل

أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة، فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الليالي والأيام».

ويقول الإمام الماوردي: «اعلم أن للعلوم أوائل تؤدِّي إلى أواخرها، ومداخل تفضي إلى حقائقها، فليبتدئ طالب العلم بأوائلها: لينتهي إلى أواخرها، وبمداخلها: ليفضي إلى حقائقها، ولا يطلب الآخر قبل الأول، ولا الحقيقة قبل المدخل، فلا يدرك الآخر، ولا يعرف الحقيقة؛ لأن البناء على غير أسٍ لا يُبنى، والثمر من غير لا يجتنى».

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله: «ما أفلح في العلم إلا من طلبه في القلة، ولقد كنت أطلب القرطاس فيعسر عليّ، وقال: لا يطلب أحدٌ هذا العلم بالملك وعزّ النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش وخدمة العلم وتواضع النفس أفلح، وقال: تفقه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه، وقال: من طلب علماً فليدقق لئلاّ يضيع دقيق العلم، وقال: من لا يحب العلم لا خير فيه. ولا يكون بينك وبينه صداقة ولا معرفة».

وقال أبو بكر الخطيب البغدادي - رحمه الله: «والطلب المفروض على كل مسلم إنما هو طلب العلم الذي لا يسع جهله، فتجوز الرحلة بغير إذن الأبوين إذا لم يكن ببلد الطالب من يعرف واجبات الأحكام، وشرائع الإسلام، فأما إذا كان قد عرف علم المفترض عليه، فلا تكون له الرحلة إلا بإذن أبويه».

وقال المناوي - رحمه الله تعالى: «مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذي يكنز فلا ينفق منه، في كون كل منهما يكون وبالاً على صاحبه يعذب عليه يوم القيامة، فعلى العالم أن يفيض العلم على مستحقه لوجه الله تعالى، ولا

يرى لنفسه عليهم منة وإن لزمتهم، بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم. لأن تتقرب إلى الله بزراعة العلوم فيها، كمن يعير أرضاً ليزرع فيها لنفسه ما ينفعه، ولولا المتعلم ما نال ذلك المعلم».

وقال هلال بن العلاء: «طلب العلم شديد، وحفظه أشد من طلبه، والعمل به أشد من حفظه، والسلامة منه أشد من العمل به»

وقال عبدالله بن المعتز: «علمٌ بلا عمل كشجرةٍ بلا ثمرةٍ. اقتضاء العلم العمل».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله: «فإن العلم يجب بذله، فمن سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة، وهو يزكو على التعليم لا ينقص بالتعليم كما تنقص الأموال بالبذل».

وعن لقمان – يعني ابن عامر – قال: كان أبو الدرداء – رضي الله عنه – يقول: «لا أخشى أن يقال لي يوم القيامة يا عويمر ماذا عملت فيما جهلت؟ ولكن أخاف أن يقال لي: يا عُويمرُ فأقول: لبيك ربِّ فيقول: ما عملت فيما علمت» (١)

يروى أن رجلاً قال لأبي الدرداء: إني أريد أن أطلب العلم فأخشى أن أضيعه. فقال: لأن تتوسد العلم خير لك من أن تتوسد الجهل».

وقال ابن عبدالبر: «طلب الدنيا يمنع من استفادة العلم، وكل ما ازداد المرء طلباً لها ازداداً جهلاً وقل عمله والله أعلم».

وقال عيسى – عليه السلام – «عجبت من القانع بالجهل، وهو يعلمُ أن

---

(١) رواه البيهقي.

الله تعالى لا يقبل الأعمال إلا بالعلم».

وقال بعض أهل المعرفة: «حياة النفس بالروح، وحياة الروح بالذكر، وحياة القلب بالعقل، وحياة العقل بالعلم».

وقال أبو سليمان الداراني – رحمه الله: «العلم شفيع إذا استعمل، وخصمٌ إذا ضُيِّع».

وقال الحسن: «ما من شيء مما خلق تعالى أعظم الثواب من طلب العلم، لا حجة، ولا عمرة، ولا جهاد، ولا صدقة، ولا عتق. ولو كان للعلم صورةٌ كانت صورته أحسن من صورة الشمس والقمر والنجوم والسماء».

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قال: «لأن أجلس ساعة فأفقه في ديني أحبَّ إليّ من أن أحيي ليلة إلى الصباح».

وعن عطاء بن أبي ميمونة مولى أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن أبي هريرة وأبي ذر قالا: باب من العلم يتعلمه أحبّ إلينا من ألف ركعة تطوع، وباب من العلم يعلمه عمل به أو لم يعمل به أحب إلينا من مائة ركعة تطوع. وقالا: سمعنا رسول ﷺ يقول: «**إذا جاء الموت طالب العلم وهو على تلك الحال مات شهيداً**».

وقال سفيان الثوري – رحمه الله: «ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت النية».

وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – : «لموت ألف عابدٍ قائمِ الليل صائم النهار أهون من موت العاقل البصير بحلال الله وحرامه».

وقال أبو الدرداء – رضي الله عنه: «تعلموا قبل أن يرفع العلم، فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء.

وقال جرير بن حازم سمعت حميداً ابن هلال قال: سمعت مطرفاً يقول: «فضل العلم خير من فضل العمل، وخير دينكم الورع».

وقال عبدالله بن أبي جعفر: «العلماء منار البلاد، منهم يقتبس النور الذي يهتدى به».

وقال ابن مسعود: «نعم المجلس تنشر فيه الحكمة وتُرجى فيه الرحمة».

وقال الحسن البصري: «الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس العلماء».

وقال أبو المليح عن ميمون: «إن مثل العالم في البلد كمثل عين عذبة في البلد».

وعن أبان بن سليم قال: «كلمة حكمة لك من أخيك خير لك من مال يعطيك؛ لأن المال يطغيك، والكلمة تهديك».

وعن عبدالله بن الضحاك. أن عبدالرزاق قال: سمعت سفيان يقول لرجل من العرب: ويحكم اطلبوا العلم فإني أخاف أن يخرج العلم من عندكم فيصير إلى غيركم فتذلون. اطلبوا العلم فإنه شرف في الدنيا وشرف في الآخرة».

وفي حكمة داود – عليه السلام – «إنك قد أوتيت علماً فلا تطفئ نور علمك بظلمات الذنوب. فتبقى في ظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم إلى الجنة».

وقال ابن المقفع: «إذا أكرمك الناس بمال أو سلطان فلا تعجبك ذلك فإن زوال الكرامة بزوالها، ولكن ليعجبك إذا أكرمك لعلمٍ أو دين».

وقال أحدهم: «تعلموا العلم فإنه سبب إلى الدين، ومنبهة للرجل، ومؤنس في الوحشة، وصاحبٌ في الغربة، ووصلةٌ في المجالس، وجالبٌ للمال، وذريعةٌ في طلب الحاجة».

وقيل للقمان الحكيم: أي الناس أفضل؟ قال: «مؤمن عالم إن ابتغي عنده الخير وجد».

وقال رجاء بن حيوة .. قال: «يقال ما أحسن الإسلام ويزينه الإيمان، وما أحسن الإيمان ويزينه التقوى، وما أحسن التقوى ويزينها العلم، وما أحسن العلم ويزينه الحلم، وما أحسن الحلم ويزينه الرفق».

وقال الحسن بن علي لابنه: «يا بني إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت، ولا تقطع على أحد حديثاً وإن طال حتى يمسك».

وروى عن الخليل بن أحمد الفراهيدي – رحمه الله: «أقلوا من الكتب لتعلموا، وأكثروا منها لتعلموا».

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي – رحمه الله: «اجعل تعليمك دراسة لك، واجعل مناظرة العلم تنبيهاً بما ليس عندك، وأكثر من العلم لتعلم، وأقلل منه لتحفظ».

وقيل: «إذا أردت أن تكون عالماً فاقصد لفن من العلم، وإن أردت أن تكون أديباً فخذ من كل شيء أحسنه».

وقال يحيى بن خالد بن برمك لابنه: «يا بني خذ من كل علم بحظٍ وافر؛ فإنك إن لم تفعل جهلت، وإن جهلت شيئاً من العلم عاديته، وعزيزٌ علي أن تعادي شيئاً من العلم».

ويروى أن بعض الأكاسرة كان إذا سخط على عالمٍ سجنه مع جاهل في بيت واحد».

وقال أبو الدرداء – رحمه الله: «من يزدد علماً يزدد وجعاً».

وقال الحسن: «العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلباً لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا تضروا بالعلم، فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ. ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا».

وقال يزيد بن أبي حبيب: «إن المتكلم لينتظر الفتنة، وإن المنصت لينتظر الرحمة. وقالوا: فضل العقل على المنطق حكمة، وفضل المنطق على العقل هجنة، وقالوا: لا يجترئ على الكلام إلا فائق أو مائق».

وقال الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – : «الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين وثلاثاً، والعلم يُحتاج إليه في كل وقت».

وقال العلامة ابن بدران – رحمه الله: «اعلم أن كثيراً من الناس يقضون السنين الطوال في تعلم العلم، بل في علم واحد، ولا يحصلون منه على طائل. وربما قضوا أعمارهم فيه، ولم يرتقوا عن درجة المبتدئين. وإنما يكون ذلك لأحد أمرين: أحدهما: عدم الذكاء الفطري، وانتفاء الإدراك التصوري. وهذا لا كلام لنا فيه، ولا في علاجه. والثاني الجهل بطرق التعليم.

وقال علي – رضي الله عنه: «تعلموا العلم، فإذا تعلمتموه فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك ولا بلعب فتمجُّه القلوب، فإن العالم إذا ضحك ضحكة مجّ من العلم مجّة».

وذكر الغلابي عن ابن عائشة عن أبيه قال: قال العباس لابنه عبدالله: يا بني لا تعلم العلم لثلاث خصال: «لا ترائي به، ولا تماري به، ولا تباهي به. ولا تدعه لثلاث خصال: رغبة في الجهل، وزيادة في العلم، واستحياء من التعلم».

وقالوا: «من أعجب برأيه ضلَّ، ومن استغنى بعقله زلَّ، ومن تكبر على الناس ذلَّ، ومن خالط الأندال حقر، ومن جالس العلماء وقر».

وعن سليمان بن سليم أبو سلمة. أن كعباً كان يقول: «واعلموا أن الكلمة من الحكمة ضالة المؤمن، فعليكم بالعلم قبل أن يرفع، ورفعه أن تذهب رواته».

ويروى عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنه قال: «من حق العالم عليك إذا أتيته أن تسلم عليه خاصة وعلى القوم عامة، وتجلس قدامه، ولا تشر بيديك، ولا تغمز بعينيك، ولا تقل قال فلان خلاف قولك، ولا تأخذ بثوبه، ولا تلح عليه في السؤال، فإنه بمنزلة النخلة المرطبة لا يزال يسقط عليك منها شيء».

وقال الخليل أحمد الفراهيدي – رحمه الله: «ما سمعت شيئاً إلا كتبته، ولا كتبته إلا حفظته، وما حفظته إلا نفعني. من أكثر من مذاكرة العلماء لم ينس ما علم، واستفاد ما لم يعلم».

وقال أبو الذيال – رحمه الله: «تعلم لا أدري ولا تعلّم أدري، فإنك إن قلت لا أدري علموك حتى تدري، وإن قلت أدري سألوك حتى لا تدري».

وروي عن فضيل بن عياض وأسد بن الفرات: قالا: «بلغنا أن الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان».

وقال الحسن: «عقوبة العالم موت القلب، قيل له وما موت القلب، قال طلب الدنيا بعمل الآخرة».

وقال بعض الصالحين: «اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع».

وقالوا: «من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل، وأشد منه عذاباً من أقبل عليه العلم فأدبر عنه، ومن أهدى الله إليه علماً فلم يعمل به».

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «أوضع العلم ما وقف على اللسان وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان».

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «احترس من ذكر العلم عند من لا يرغب فيه، ومن ذكر قديم الشرف من لا قديم له، فإن ذلك مما يحقدهما عليك».

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «كل وعاء يضيق بما جعل فيه، إلا وعاء العلم فإنه يتسع» (١)

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «رب عالم قد قتله جهله (٢) وعلمه معه لا ينفعه».

وقال عيسى – عليه السلام: «لا تمنع العلم من أهله فتأثم، ولا تنشره عند غير أهله فتجهل، وكن طبيباً رفيقاً يضع دواءه حيث يعلم أنه ينفع».

وقال محمد بن الفضيل السمرقندي – رحمه الله: «كم من جاهل أدركه العلم فأنقذه، وكم من ناسك عمل عمل الجاهلية فأوبقه. احضر العلم وإن لم تحضرك النية، فإنما تطلب بالعلم النية، وإن أول ما يظهر من العبد لسانه، وأول ما يظهر من عقله حلمه».

---

(١) موسوعة علي بن أبي طالب – فاطمة محمود الجوابرة، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م – عمان – الأردن.

(٢) وهذا هو العالم الذي يحفظ ولا يدري، أو يعلم ولا يعمل، أو ينقل ولا بصيرة له.

وقال الإمام أبو حنيفة – رحمه الله: «من لم يمنعه العلم عن محارم الله تعالى ولم يحجزه عن معاصي الله تعالى فهو من الخاسرين».

وقال أحد الحكماء: «من ظن أنه قد تعلم .. فقد بدأ جهله».

وقيل: «من تكبر بعلمه وترفع، وضعه الله به».

وقال أحدهم: «لا يغرنّك كبر الجسم ممن صغر في العلم، ولا طول قامة ممن قصر في الاستقامة. فإن الدرّة على صغرها خير من الصخرة على كبرها».

وقيل: «رواح العلم العمل به. وإلا فالعلم عارية وغير منتفع به».

وقيل: «العلم في الصغر كالنقش في الحجر».

وقيل: «العالم يعرف الجاهل؛ لأنه كان جاهلاً، والجاهل لا يعرف العالم؛ لأنه لم يكن عالماً».

وقال أحدهم: «لسان العلم الصدق، ولسان الجهل الحمق».

وقال ابن رجب – رحمه الله: «اقتضت حكمة الله سبحانه أن ضبط الدين وحفظه، بأن نصب للناس أئمة مجتمعاً على علمهم ودرايتهم وبلوغهم الغاية المقصودة في مرتبة العلم بالأحكام والفتوى من أهل الرأي والحديث، فصار الناس كلهم يعوِّلون في الفتاوى عليهم، ويرجعون في معرفة الأحكام إليهم.وأقام الله من يضبط مذاهبهم ويُحرِّر قواعدهم، حتى ضبط مذهب كل إمام منهم، وأصوله وقواعده وفصوله، حتى تردّ إلى ذلك الأحكام، ويضبط الكلام في مسائل الحلال والحرام، وكان ذلك من لطف الله بعباده المؤمنين، ومن جملة عوائده الحسنة في حفظ هذا الدين» (١)

وقال زياد بن أبي سفيان – رحمه الله: «إذا خرج الكلام من القلب وقع في

(١) منهاج طلب العلم، ص١٧.

القلب، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان».

وقال بعض الحكماء: «إذا كانت حياتي حياة السفيه، وموتي موت الجاهل فما يغني عني ما جمعت من غرائب الحكمة».

وقال الإمام عامر بن شراحيل المعروف بالشعبي - رحمه الله: «العلم ثلاثة أشبار، فمن نال منه شبراً شمخ بأنفه وظن أنه نال، ومن نال الشبر الثاني صغرت إليه نفسه وعلم أنه لم ينله، وأما الشبر الثالث فهيهات لا يناله أحد أبداً».

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه: «مجلس العلم روضة الجنة».

وقال الحكيم علي الناتلي النيسابوري: «ثمرة العلم حلوة، والنفقة فيها مستخلفة».

وقال محمد بن المجلي الجزري: «الجاهل سكران لا يفيق إلا بالمعرفة».

وقال أبو الوليد محمد بن أحمد الحفيد: «من اشتغل بعلم التشريح ازداد إيماناً بالله».

وقال علي بن هندو البغدادي: «عظّم العلم في ذاتك، وصغر الدنيا في عينيك، وأخرج من سلطان شهواتك».

وقال محمد خير رمضان يوسف [1] «العلم وسامٌ تمنعه نفسك، ويقدِّرُك به الآخرون».

وقال أيضاً: «إذا لم يكن لك نصيبٌ في صحبة العلماء من قرب. فلا تحرم

(١) هكذا قلت، ص١٣٣، ط١، دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

نفسك صحبتهم عن بعد، اقرأ لهم، وتابع أخبارهم، وتذكر مواقفهم، واستمع إليهم».

أمثال وحكم في العلم[1]:

- «علم المنافق في قوله، وعلم المؤمن في عمله»، عبدالله بن المعتز.
- «لا يكون أحدكم تقياً حتى يكون عالماً، ولن يكون بالعلم جميلاً، حتى يكون به عاملاً»، أبو الدرداء.
- «كلما يزيد علمك تزيد قوتك»، نجيد.
- «كل شيء له حدود إلا العلم»، نجيد.
- «العلم بناء المآثر .. والممالك من قديم كسروا به نير الهوان وحطموا ظل التسليم»، أحمد شوقي.
- «المعرفة والثقافة هي مفتاح الحرية الإنسانية والسبيل إلى الفضيلة»، سقراط.



(١) بدائع الزهور المختارة، نجيد، ص٨٦.

الإمام أبو حنيفة مع العلم

إذا كان للمال مغريات فللعلم نوره واجتذابه. لذلك نرى أبا حنيفة قد اجتذبه إليه فإذا به يدور على العلماء، ويحضر مجالسهم. استمر على ذلك حتى استرعى ذكاءه أنظار الفقهاء.

فوجهوا عنايتهم إليه ليزيد اختلافه عليهم إذ كان يصرف بعض أوقاته في التجارة.

رؤى أنه قال: مررت على الشعبي وهو جالس، فدعاني فقال لي: إلى من تختلف؟ فقلت إلى السوق.

فقال الشعبي: لم أعن الاختلاف إلى السوق، عنيت الاختلاف إلى العلماء.

فقلت له: إني قليل الاختلاف إلى العلماء.

فقال: لا تفعل فعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء فإني أرى فيك يقظة وحركة.

قال أبو حنيفة: فوقع في قلبي من قوله، فتركت الاختلاف إلى السوق، وأخذت في العلم فنفعني الله عز وجل بقوله.

فبعد أن درس العلم واطلع على الآراء والعقائد في رحلاته العلمية. قال أبو حنيفة – رحمه الله – عندما راجعت نفسي، وتدبرت قلت إن المتقدمين من أصحاب النبي ﷺ والتابعين لم يكن ليفوتهم شيء مما ندركه نحن وكانوا عليه أقدر، وبه أعلم وأعرف بحقائق الأمور ثم لم ينتصبوا فيه منازعين ولا مجادلين، ولم يخوضوا فيه بل أمسكوا عن ذلك ونهوا عنه أشد النهي.

وعلى أثر ذلك اتجه الإمام إلى منهل الفقه لاستخراج الأحكام من الكتاب والسنة والبناء عليها، وتتبع آثار السلف وما جرى فيه من الاختلاف لا يخرج عن أقوالهم. وكان يختار بينها حتى قال: كنت في معدن العلم والفقه فجالست أهله، ولزمت فقيهاً بارزاً آلت إليه رئاسته هو العالم التقي «حماد بن سليمان». استمر تلميذاً لحماد ما يقارب من ٢٠ سنة إلى أن توفي عام ١٢٠هـ - ٧٣٨م. حيث جلس مكانه بجامع الكوفة. لذلك كان يتجه في دراسته وتدريسه إلى لب الحقيقة، وتعرف ما وراء النصوص من علل وأحكام. ولهذا تبوأ أعلى منزلة بين العلماء وصار مجتهداً بارزاً وإماماً أوحد زمانه علماً وعقلاً وذكاءً لا ثاني له في عصره.

ونستطيع القول الذي يتفق والحقيقة بأنه مؤسس دولة الفقه في العراق، وأول المذاهب الإسلامية اجتهاداً، وصاحب الأكثرية من الأتباع في العالم الإسلامي أجمع حتى قال فيه أحد المستشرقين: «لم يكن أبو حنيفة أول فقيه وإنما أقدر فقيه ناصر الأخذ بالقياس» (١)

ومما يذكر أن الإمام أبا حنيفة - رحمه الله - قال: إن العالم لا يستقيم له العلم إلا بثلاثة أمور:

أولاً: أن يكون في بيئة علمية يعيش فيها ويستنشق عبيره منها.

ثانياً: أن يجالس العلماء ويلتقي بكل أنواع الاتجاه الفكري في عصره.

ثالثاً: وأن يلزم شيخاً من الشيوخ يبصره بالدقائق وينبهه إلى الخفي حتى يسير في كل شيء على نور فلا يضل ولا يخزى.

---

(١) ناصر الأخذ بالقياس عند عدم وجود نص.

وقال لأحد التلاميذ [١] إذا دخلت البصرة استقبلك الناس وزاروك وعرفوا حقك. فأنزل كل رجل منزلته، وأكرم أهل الشرف، وعظّم أهل العلم. ووقر الشيوخ. ولاطف الأحداث. وتقرّب من العامة. ودَارِ الفجار. واصحب الأخيار، ولا تتهاون بسلطان ولا تحقرن أحداً.

ولد الإمام أبو حنيفة سنة ٨٠هـ - ٧٠١م. وتوفي سنة ١٥٠هـ - ٧٦٧م. أسكنه الله الفردوس الأعلى مع النبيين والصادقين والشهداء وحَسُن أولئك رفيقا.



(١) التلميذ ذاهب إلى البصرة في منصب القضاء.

لا يطلب هذا العلم أحد بالمال

قال الإمام الشافعي – رحمه الله تعالى: «لا يطلب هذا العلم أحد بالمال وعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش وحرمه العلم أفلح. حيث قال – رحمه الله – عن نفسه: كنت يتيماً في حجر أمي. فدفعتني في الكتاب ولم يكن عندها ما تعطي المعلم، فكان المعلم قد رضي فيَّ أن أخلفه إذا قام، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء، وكنت أسمع الحديث أو المسألة فأحفظها، ولم يكن عند أمي ما تعطيني أشتري به قراطيس، فكنت إذا رأيت عظماً يلوح آخذه فأكتب فيه. فإذا امتلأ طرحته في جرةٍ كانت لنا قديماً.

قال: ثم قدم والٍ على اليمن فكلمه لي بعض القرشيين أن أصحبه، ولم يكن عند أمي ما تعطيني أتجمل به، فرهنت رداءها بستة عشر ديناراً فأعطتني فتجملت بها معه، فلما قدمنا اليمن إلى ذكره – رحمه الله – عن نفسه [١]



(١) إيقاظ الهمة لبيان فضل العلم/ الشيخ حلمي بن محمد الرشيدي، ص٩٨، ط١ – ٢٠٠٤ م، دار الإيمان – الإسكندرية – مصر.

أشعار قيلت في فضل العلم

- قال أبو الأسود الدؤولي:

العلم زين وتشريف لصاحبه ... فاطلب ـ هديت ـ فنون العلم والأدبا
كم سيّد بطل آباؤه نُجُبٌ ... كانوا الرؤوس فأصبح بعدهم ذنبا
العلم كنز وذخرٌ لا تعادله ... نعم القرين إذا ما صاحب صَحَبا
قد يجمع المال شخصٌ ثم يُحرَمه ... عمّا قليل فيلقى الذل والحَرَبَا
وجامع العلم مغبوط به أبداً ... فلا يُحاذرُ فوتاً ولا هربا
يا جامع العلم نِعْمَ الذخر تجمعه ... لا تعدلن به دُرّاً ولا ذهبا

- وقال آخر:

لا تحسبن العلم ينفع وحده ... ما لم يتوَّج ربه بخلاق
فإذا رُزقت خليقة محمودة ... فقد اصطفاك مُقسم الأرزاق
العلم كالغيث والأخلاق تربته ... أن تفسد الأرض تذهب نعمة المطر
إبليس أعلم أهل الأرض قاطبة ... والناس تلعنه في البدو والحضر

- وقال آخر:

يا من له علمُ الغيوب ووصفه ... سَتْرُ العيوب وكل ذاك سماح
أخفيت ذنب العبد عن كل الورى ... كرماً فليس عليه ثم جناحُ
منك التفضل والتكرم والرضا ... أنت الإله المنعم الفتاحُ

- وقال آخر:

بالعلم تحيا نفوس قط ما عرفت ... من قبل ما الفرق بين الصدق والمين
العلم للنفس نور يستدل به ... على الحقائق مثل النور للعين

• وقال آخر:

ولولا العلم ما سعدت نفوس ... ولا عُرف الحلال من الحرامُ
فبالعلم النجاة من المخازي ... وبالجهل المذلة والرغام
هو الهادي الدليل إلى المعالي ... ومصباح يضيء به الظلام
كذاك عن الرسول أتى عليه ... من الله التحية والسلام

• وقال آخر:

واطلب العلم ولا تكسل فما ... أبعد الخيرات عن أهل الكسل
لا تقل قد ذهبت أربابه ... كل من سار على الدرب وصل
في ازدياد العلم إرغام العدا ... وجمال العلم إصلاح العمل

• وقال آخر:

تعلّم فليس المرء يولد عالماً ... وليس أخو علمٍ كمن هو جاهلُ
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافلُ

• وقال آخر:

العلم أنفس شيء أنت ذاخُرهُ ... من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
أقبل على العلم واستقبل مقاصده ... فأول العلم إقبال وآخره

• وقال الإمام الشافعي – رحمه الله:

كلُّ العلوم سوى القرآن مشغلةٌ ... إلا الحديث وعلم الفقه في الدين
العلمُ ما كان فيه قال حدّثنا ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين

• وقال أيضاً:

أخي لن تنال العلم إلا بستةٍ ... سأنبيك عن تفصلها ببيان

ذكاءٌ وحرصٌ واجتهاد وبلغة   وصحبة أستاذ وطول زمان

- وقال آخر:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم   على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدْرُ كلِّ امرئ ما كان يحسنه   والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففر بعلم تعش حيّاً به أبداً   الناس موتى وأهل العلم أحياءُ

- وقال آخر:

تعلم إذا ما كنت لست بعالمٍ   في العلم ألا عند أهل العلم التعلم
تعلم فإن العلم أزين للفتى   من الحلّة الحسناءِ عند التكلم

- وقال آخر:

يا من تباعد عن مكارم خُلقه   ليس التفاخر بالعلوم الزاخره
من لم يهذب علمه أخلاقه   لم ينتفع بعلومه في الآخرةْ

- وقال آخر:

العلم نور وخير الناس تطلبه   والجاهلون لأهل العلم أعداء
يا طالب العلم لا تبغي به بدلاً   الناس موتى وأهل العلم أحياء

- مناظرة بين العلم والعقل:

علم العليم وعقل العاقل اختلفا   من ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا
فقال العلم أنا أحرزت غايته   وقال العقل إن الرحمن بي عُرِفا
فأفصح العلم إفصاحاً وقال له   بأينا الرحمن في قرآنه اتصفا
فبان للعقل أن العلم سيده   فقبّل العقل رأس العلم وانصرفا

- وقال آخر:

والعلم زين وتشريف لصاحبه ... أتت إلينا بذا الأنباء والكتب
والعلم يرفع أقواماً بلا حسب ... فكيف من كان ذا علمٍ له حسب
فاطلب بعلمك وجه الله محتسباً ... فما سوى العلم فهو اللهو واللعب

- وقال آخر:

العلم بلّغ قوماً ذروة الشرف ... وصاحب العلم محفوظٌ من الحزن
يا صاحب العلم مهلاً لا تدنسه ... بالموبقات[1] فما للعلم من خلف

- وقال آخر:

لو أن العلم مُثّل كان نوراً ... يضاهي الشمس أو يحكي النهارا
كذاك الجهل أظلم جانباه ... ونور العلم أشرق واستنارا

- وقال آخر:

يطيب العيش أن تلقى لبيباً ... غذاه العلم والرأي المصيبُ
فيكشف عنك حيرة كل جهلٍ ... ففضل العلم يعرفه الأريبُ
سقام الحرص ليس له دواءٌ ... وداء الجهل ليس له طبيبُ

- وقال آخر:

يموت قوم فيحيي العلم ذكرهمو ... والجهل يُلحِقُ أمواتاً بأموات

- وقال آخر:

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم ... وعاش قوم وهم في الناس أموات

---

(١) المهلكات.

• وقال آخر:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله فأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتى النشور نشور

• وقال آخر:

وما دام ذكر العبد بالفضل باقياً فذلك حيٌّ وهو في التراب هالك

• وقال آخر:

والعلم في كل المواضع دائماً يكسو الرجال مهابة وجمالاً

فهو اللسان لمن أراد فصاحةً وهو السلاح لمن أراد قتالاً

• وقال آخر:

العلم يحيي قلوب الميتين كما تحيا البلاد إذا ما مسها المطرُ

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلي سواد الظلمة القمر

قصيدة في العلم:

مع العلم فاسلك حيث ما سلك العلم

وعنه فكاشف كل من عنده فهم

ففيه جلاء للقلوب من العمى

وعون على الدين الذي أمرهُ حتمُ

فإني رأيت الجهل يزري بأهله

وذو العلم في الأقوام يرفعه العلمُ

يُعدّ كبير القوم وهو صغيرهم

وينفذ منه فيهم القول والحكمُ

فخالط رواه العلم وأصحب خيارهم

فصحبهم زين وخلطتهم غُنمُ

ولا تَعْدونْ عيناك عنهم فإنهم

نجومٌ إذا ما غاب نجم بدا نجمُ

فوالله لولا العلم ما اتضح الهدى

ولا لاح من غيب الأمور لنا رسمُ

حلاوة العلم:

ومن لم يذق مُرُ التعلم ساعة

تجرع ذل الجهل طول حياته

ومن فاته التعليم وقت شبابه

فكبِّر عليه أربعاً لوفاته

وذات الفتى ـ والله ـ بالعلم والتقى

إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

- وقال حافظ الحكمي:

العلم أشرف مطلوب وطالبه

لله أكرم من يمشي على قدم

العلم نورٌ مبين يستضيء به

أهل السعادة والجهال في الظُلمِ

• وقال آخر:

العـلم يجلـو العمـى عـن قلـب صـاحبه

كمـــا يُجـــلي ســـواد الظـــلمة القمـــر

ولـــيس ذو العـــلم بالـــتقوى كجاهـــلها

ولا البصــــير كــــأعْمى مالــــه بصــــرُ

• قال صاحب شذّا العرف في فن الصرف:

الفخــر بالعــلم لا بالجــاه والمــال ... والجــدُّ بــالجد لا بــالجد والحــالِ

كم من مليء وضيء الوجه تحسبه ... للعــلم خــلاً ولكــن فكُــره خــالي

في الجاه والمال أسباب الغرور ومن ... يعــتز بــالأهل كالمعــتز بــالآلِ

تلــك الأمــور ســحاباتٌ تغيرهــا ... حــوادث الدهــر مـن حــال إلى حــالِ

ولكــن العــلم لا يــنفك صــاحبه ... معظــم القــدر في حــل وتــرحالِ

أفـق السماكين بـل أعـلاه مقعـدُهُ ... في كــل حــالٍ تــراه نــاعم الــبالِ

إن عـاش عـاش أجلّ النـاس منزلـةً ... أو مــات مــات بإعظــامٍ وإجــلالِ

• وقال أبو حامد المازني في العلم [(١)]

العلم في القلب ليس العلم في الكتب ... فــلا تكــن مغــرماً بالــلهو واللعــب

فاحفظـه وافهمـه كـي تفـوز بـه ... فالعــلم لا يجــتنى إلا مــن التعــب



---

(١) التحف في المواعظ والتحف والطرف، ص٧٧.

أقوال في الصدق والصادقين

الصّدق

الصدق في اللغة:

الصِّدق بالكسر والفتح ضد الكذب، صَدَقَ يَصْدُقُ صدقاً وصِدْقاً وتصْداقاً وصدَّقه: قبل قوله، وَصَدَقَهُ الحديث: أنبأه بالصدق، ويقال: صَدَقت القوم أي قلتُ لهم صدقاً ورجلٌ صدوق أبلغ من الصادق [(١)] . والصدق هو أن يصدق الإنسان في كلامه الذي يتحدث به إلى الناس، ويتحرى الصدق بكل ما يتلفظ به لسانه ويتجنب الكذب. كما تأتي معنى الصدق الشِدّة، وهو رجُلُ صدقٍ وصديقُ صدقٍ، مُضافين، وكذا امرأة صدقٍ، وحمارُ صدقٍ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [(٢)] أي أنزلناهم منزلاً صالحاً ويقال: هذا الرجل الصِّدقُ: أي الصُّلبُ المستوي من الرماح والرجال، والكامل من كل شيء [(٣)] ، تمرٌ صادق الحلاوة: شديدها [(٤)]

الصّدق في الاصطلاح الشرعي:

هو الأخبار عن الشيء على ما هو عليه. أي مطابقة الخبر للواقع، ويكون في القول والعمل والاعتقاد. قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور: ج١/ ١٩٢-١٩٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩٣.

(٣) القاموس المحيط للفيروزأبادي، مادة الصدق: باب القاف وفصل الصاد، ص١١٦١، ط٢، مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٤) المنجد في اللغة والإعلام.

عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ (١)

يقول ابن قيم الجوزية – رحمه الله – في كتابه الفوائد: ليس للعبد أنفع من صدقه مع ربه في جميع أموره مع صدق العزيمة فيصدقه في عزمه وفي فعله، قال الله تعالى: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢)

فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل. فصدق العزيمة جمعها وحزمها وعدم التردد فيها، بل تكون عزيمة لا يشوبها تردد ولا تلوم، فإذا صدقت عزيمته بقي عليه صدق الفعل، وهو استفراغ الوسع وبذل الجهد فيه، وأن لا يتخلف عنه بشيء من ظاهره وباطنه، فعزيمة القصد تمنعه من ضعف الإرادة والهمة. وصدق الفعل يمنعه من الكسل والفتور، ومن صدق الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره، وهذا الصدق معنى يلتئم من صحة الإخلاص وصدق التوكل، فأصدق الناس من صحح إخلاصه وتوكله.

الصدق – أخي القارئ – هو مطابقة القول للعمل. يقول الإمام ابن تيمية – رحمه الله: «ومما ينبغي أن يعرف أن الصدق والتصديق يكون في الأقوال وفي الأعمال كقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**كتب على ابن آدم حظه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة. فالعينان تزنيان وزناهما النظر، والأذنان تزنيان وزناهما السمع، اليدان تزنيان، وزناهما البطش، والرجلان تزنيان، وزناهما المشي، والقلب يتمنى ويشتهي والفرج يصدق ذلك يكذبه**» (٣)

الذي جاء بالصدق: هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله.

والصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢١.

(٣) رواه البخاري.

ساقها والصدق.

والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد.

والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص استفراغ الوسع وبذل الطاقة. فبذلك يكون العبد من الذين جاؤوا بالصدق [(١)]

وقد أمر الله تعالى رسوله أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق فقال: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ [(٢)]

وأخبر عن خليله إبراهيم – عليه السلام – أنه سأله أن يهب له لسان صدق في الآخرين، فقال: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [(٣)] وبشّر عباده بأن لهم عنده قدم صدق، ومقعد صدق. فقال: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [(٤)]. وقال: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [(٥)]، فهذه خمسة أشياء: مدخل الصدق، ومخرج الصدق، ولسان الصدق، وقدم الصدق، ومقعد الصدق.

فحقيقة الصدق في هذه الأشياء: هو الحق الثابت، المتصل بالله. الموصل إلى الله، وهو ما كان به وله، من الأقوال والأعمال وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة[(٦)]

---

(١) كونوا مع الصادقين/ عبدالعزيز ناصر الجليل، ط١، ١٤١٥هـ، دار طيبة – الرياض.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٠.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٨٤.

(٤) سورة يونس، الآية: ٢.

(٥) سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

(٦) إيقاظ الهمة لبيان فضل العلم، الشيخ أبو أنس حلمي بن محمد بن إسماعيل الرشيدي، ص٩٥.

الصدق من البيان الإلهي

ومما ورد ما يلي:

- تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾ (١)
- وقال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (٢)
- وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٣)
- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ (٤)
- وقال تعالى: ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ (٥)

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

(٥) سورة محمد، الآية: ٢١.

- وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ (١)

- وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ﴾ (٢)

- وقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ۝٨٠ ﴾ (٣)

الصدق من البيان النبوي:

ومما ورد ما يلي:

- عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البرّ، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً**» (٤)

- وقال - عليه الصلاة والسلام - : «**من سرّه أن يحبه الله ورسوله فليصدق حديثه إذا حدث، وليؤد أمانته إذا أؤتمن وليُحسن جواره إذا جاور**» (٥)

---

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ١ - ٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٠.

(٤) رواه الشيخان وغيرهما.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق، ص٨٨، رقم: ٢٦٦.

- وعن أبي خالد حكيم بن حزام – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا، بورك لهما في بيعها، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما**» (١)
- وعن أبي ثابت سهل بن حنيف – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**» (٢)
- وقال ﷺ: «**لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب امرئ، ولا يجتمع الكذب والصدق جميعاً، ولا تجتمع الخيانة والأمانة جميعاً**» (٣)
- وعن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ أنه قال: «**أربعٌ إذا كنُ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وحسن خليقة، وصدق حديث، وعفة في مطعم**» (٤)
- وعن شهر بن حوشب – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال: «**مالي أراكم تتهافتون في الكذب، كما تهافتُ الفراشُ في النار؟ ألا إن كل كذبٍ مكتوب على ابن آدم إلا في ثلاث: كذب الرجل امرأته ليرضيها، وكذب الرجل في الحرب، فإن الحرب خدعة، وكذب الرجل في الإصلاح بين الزوجين، قال تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٥)**» (٦)

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الإمام أحمد.

(٤) رواه الإمام أحمد وصححه الألباني.

(٥) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٦) أخرجه ابن جرير في تهذيبه، والخرائطي في مساوي الأخلاق، والبيهقي في شعب الإيمان.

- وعن فضيلة الصدق والورع فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**اشترى رجل من رجل عقاراً له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرّة من ذهب، فقال الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني، إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب. وقال الذي له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها. فتحاكما إلى رجل فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام. وقال الآخر: لي جارية. قال أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقا**» (١)
- وقال رسول الله ﷺ: «**الصدق طمأنينة**» (٢)



---

(١) رواه البخاري ومسلم .. زاد المتقين/ إبراهيم بن عبدالله الحازمي، ص٦٩، ط٦، دار الشريف، الرياض ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) رواه الترمذي.

أقوال السلف عن الصّدق

- قال عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – : «لا يصلح الكذب في هزلٍ ولا جدٍّ ولا أن يعد أحدكم صبيّاً شيئاً ثم لا يُنْجز له» (١)

- وقال أبو القاسم الفقيه: «أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال أنها إذا صحت ففيها النجاة، ولا يتم بعضها إلا بعض: الإسلام الخالص عن البدعة والهوى، والصدق لله تعالى في الأعمال، وطيب المطعم».

- وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه: «عليك بالصدق وإن قتلك، ولأن يضعني الصدق – وقلما يضع – أحبُّ إليَّ من أن يرفعني الكذب – وقلما يفعل» (٢)

- وقال حكيم: «أعظمُ الصدق. الصدق فيما يضرك».

- وقال الجنيد – رحمه الله: «حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب».

- وقال عبدالواحد بن زيد – رحمه الله: «الصدق الوفاء لله بالعمل».

- وقيل: «الصدق استواء السر والعلانية».

- وقال بعضهم: «لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره».

---

(١) من أخبار السلف/ زكريا بن غلام قادر الباكستاني، ص٢٥٣، ط١ – ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م مكتبة الرشد، الرياض.

(٢) دليل السائلين، أنس إسماعيل: ص ٣٩٠، ط١ – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

- وقال ابن عباس – رضي الله عنهما: «أربع من كُنَّ فيه فقد ربح: الصدق، والوفاء، وحسن الخُلق، والشكر».

- وقال بعض الحكماء: «الصدق منجيك وإن خفته، والكذب مرديك وإن أمنته».

- وقال الجاحظ – رحمه الله: «الصدق والوفاء توأمان، والصبر والحلم توأمان فيهن تمام دين، وصلاح كل دنيا، وأضدادهما سبب كل فرقة، وأصل كل فساد».

- وقال سهل بن عبدالله: ضمير قلوب الصديقين هذه الثلاثة: علمٌ في الورع، ونية في الإخلاص، ولا يخرجُ من جوارحهم شيء يقع عليه اسم الذم» (١)

- وقال الفضيل بن عياض – رحمه الله: «ما من مضغة أحبّ إلى الله من لسان صدوق، وما من مضغة أبغض إلى الله من لسان كذوب».

- وقالوا: «الصدق عمود الدين، وركن الأدب، وأصل المروءة، فلا تتم هذه الثلاثة إلا به».

- وقالوا: «لكل شيء حلية، وحلية النطق الصدق».

- وقال أبو سليمان الداراني – رحمه الله: «من عامل الله بالصدق استوحش من الناس».

---

(١) تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الرقائق، محمود بن أحمد الغادياني، هذبه وخرّج أحاديثه، محمد خير رمضان يوسف، مجلد أول ص، ٤٧٥، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- وقال يوسف بن أسباط: «لأن أبيت ليلة أعامل الله بالصدق أحب إليّ من أن أضرب بسيفي في سبيل الله».

- وقال بعض الحكماء [(١)]: «عليك بالصدق، فما السيف القاطع في كفّ الرجل الشجاع بأعز من الصدق، والصدق عزٌّ وإن كان فيه ما تكره، والكذب ذلٌّ وإن كان فيه ما تحب، ومن عرف بالكذب اتهم في الصدق».

- وقال جعفر بن محمد بن علي – رحمه الله: «الصدق هو المجاهدة وأن لا تختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ [(٢)]

- وقال محمد بن علي الكناني – رحمه الله: «وجدنا دين الله تعالى مبيناً على ثلاثة أركان: على الحق والصدق والعدل، فالحق على الجوارح، والعدل على القلوب، والصدق على العقول».

- وقال الشيخ عبدالقادر الجيلاني – رحمه الله: «من عامل بالصدق والنصاحة استوحش مما سواه في الصباح والمساء» [(٣)]

- وقال رجل لحكيم: «ما رأيت صادقاً، فقال له: لو كنت لعرفت الصادقين».

- وقال أحدهم: «مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية، والقيام بحقوق الربوبية».

---

(١) كذبة نيسان في الميزان، محمد خير رمضان يوسف، ص٦٣، ط١ – دار ابن حزم – بيروت: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٣) مرشد الخطيب، عبدالرحمن المصطاوي، ص٤٢١، دار المعرفة – بيروت.

- وقال محمد بن علي الترمذي: «خصَّ الله الإنسان من جميع الحيوان، ثم خص المؤمنين من الإنس، ثم خص الرجالَ من المؤمنين، فقال جلَّ جلاله: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾ [١] فحقيقة الرجولية الصدق، ومن لم يدخل في ميدان الصدق فقد خرج من حد الرجولية» [٢]
- وقال ذو النون: «الصدق سيف الله في الأرض، وما وضع على شيء إلا قطعه».
- وقال بعضهم: «الصدق القول بالحق في مواطن الهلكة» [٣]
- وقال أحمد بن خضروية: «من أحب أن يكون الله معه في جميع الأحوال فليلزم الصدق، فإن الله مع الصادقين» [٤]
- وقال الإمام يحيى بن معاذ – رحمه الله: «شرب الصديقون من ثلاثة أنهار: نهر الرضا، ونهر الصبر، ونهر الحياء».
- وقال الشبلي: «الصدق أن يكون العبد مواصلاً للإخوان، وقلبه منفرد مع الرحمن».
- وقال بعض أهل المعرفة: «من لم يؤد الغرض الدائم لا يقبل منه الغرض المؤقت. قيل: ما الغرض الدائم؟ قال: الصدق».
- وقال الجنيد: «الصدق به تمام الأحوال، وكل حالٍ خلا عنه كان ناقصاً» [٥]

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

(٢) تهذيب خالصة الحقائق، ص٤٧٦.

(٣) مصدر سابق، ٤٧٣.

(٤) مصدر سابق.

(٥) تهذيب خالصة الحقائق، ص٤٧٣.

- وقال الإمام الأوزاعي – رحمه الله: «تعلم الصدق قبل أن تتعلم العلم».

- وقال وكيع – رحمه الله: «هذه الصنعة لا يرتفع فيها إلا صادق».

- وقال الإمام مالك بن دينار – رحمه الله: «إن الصدق يبدو في القلب ضعيفاً. كما يبدو نبات النخلة، يبدو غصناً واحداً، فإذا شقها الصبي ذهب أصلها وإن أكلتها عنز ذهب أصلها. فتسقى فتنتشر وتسقى فتنتشر حتى يكون لها أصل أصيل يُوطأ، وظل يستظل به وثمرة يؤكل منها. كذلك الصدق يبدو في القلب ضعيفاً فيتفقده صاحبه ويزيده الله تعالى، ويتفقده صاحبه فيزيده الله حتى يجعله الله بركة على نفسه ويكون كلامه دواء للخاطئين. ثم قال مالك: أما رأيتموهم؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول: بلى والله لقد رأيناهم: الحسن البصري، وسعيد بن جبير وأشباههم، الرجل منهم يحيي الله بكلامه الفئام من الناس» (١)

- وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه: «اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون، فإنهم تجلى لهم أمور صادقة، وذلك لقرب قلوبهم من الله».

- وقال أبو سليمان الداراني – رحمه الله: «إن القلوب إذا اجتمعت على التقوى جالت في الملكوت، ورجعت إلى أصحابها بطرق الفوائد من غير أن يؤدي إليها عالم علماً».

- وقال ابن القيم – رحمه الله: «وإن الصدق هو مقام الإسلام والإيمان،

---

(١) وكونوا مع الصادقين/ عبدالعزيز ناصر الجليل، ص١٣٦، ط١ – ١٤١٥هـ، دار طيبة، الرياض.

والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر» (١)

- وقال يوسف الواعي - رحمه الله - في سلوك المسلم: «العيش مع الصادقين نعمة لا ينالها إلا كل سعيد ومخالطتهم هناء، لا يحظى به إلا كل موفق، ومصاحبتهم أمان لا يحسبه إلا أصحاب البصائر والنُهى؛ لأن للكذابين ضمائر خربة وذمماً ملوثة، لا يؤمن لهم جانب، ولا يُطمأنّ إلى قولهم، أو يؤنس إلى فعلهم. فمن سمات الصادقين شفافية ووضوح، ونقاء وطهر ورجولة ووفاء، ومن علامات الصدق طمأنينة القلب».

- وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في منزلة الصدق: «وهي منزلة القوم الأعظم، الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المتقطعين الهالكين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنات من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه، من صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته، فهو روح الأعمال، ومحل الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجة تالية لدرجة «النبوة» التي هي أرفع درجات العالمين، ومن مساكنهم في الجنات تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين».

---

(١) مدارج السالكين، ٢/ ٢٧٩ - ٢٨٠.

ومن الحكم العطائية:

- مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية، والقيام بحقوق الربوبية.
- متى طلبت عوضاً على عمل، طولبت بوجود الصدق فيه.
- لا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته، فإن ذلك يقل عملها في قلبه ويمنعه وجود الصدق مع ربه [(١)].
- ومن الحكم في الصدق: «من استقام بنفسه استقام به غيره، كيف يستقيم الظل والعود أعوج».
- وقال الفضيل: «لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق، وطلب الحلال».
- وقال ابن حبان: «الصدق يرفع المرء في الدارين، كما أن الكذب يهوي به في الحالين».
- قيل: إذا طلبت الله بالصدق: أعطاك مرآة تبصر فيها كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة.
- وقيل: عليك بالصدق، حيث تخاف أنه يضرك، فإنه ينفعك، ودع الكذب، حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك [(٢)] !
- وعن الأصمعي. قال: قال شبيب بن شبة: «إخوان الصدق خير

---

(١) مرشد الخطيب/ عبدالرحمن المصطاوي، ص٤٢٣، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، دار المعرفة، بيروت لبنان.

(٢) سمير المؤمنين، محمد الحجار، ص٢٩٣، ط١١، دار البشائر، بيروت: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م.

مكاسب الدنيا فهم معونة على حسن المعاش والمعاد. وهم زينة في الرخاء وهم عدة في البلاء».

- وقال بعض العلماء: «إن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم، والبر اسم جامع للخير كله».
- وقال الإمام الشافعي - رحمه الله: «من علامات الصادق في أخوة أخيه أن يقبل علله، ويسد خلله، ويغفر زلته» [(١)]
- وقال الإمام مالك بن دينار - رحمه الله: «الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه».
- وقال أحدهم: «لو صوّر الصدق لكان أسداً، ولو صوّر الكذب لكان ثعلباً، وما صاحبها منهما ببعيد».

ومن الحكم والأمثال في الصدق:

- «عليك بالصدق في كل الأمور، ولا تكذب فأقبح ما يزري بك الكذب».
- «من قلّ صدقه قل صديقه، ومن كثر كذبه كثرت زلاته».
- «الكذب هو الوسيلة التي يسلكها الإنسان الفاشل».
- «الكاذب لا يصدق حتى ولو قال صدقاً».
- «الصادق مصانٌ خليل، والكاذب مهانٌ ذليل».
- «الخرس خير من الكذب».

---

(١) نفائس الكلام من أفواه السلف الكرام، مصطفى حقي، ص٦٥، ط١ - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، دار الشريف، الرياض.

- «الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل، والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور»[(١)]
- أخي القارئ: والصدق في الرؤية: هو إيمان والإيمان صدق. فمن رأى من الكفار أنه صدق، فإنه يؤمن. ومن رأى من المؤمنين أنه آمن. فإنه يصدق وهذا من المقلوبات، والصدق في المنام نجاة من المكابد[(٢)]

أخي القارئ: والصدق ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية لا تستقيم إلا به. قلّبْ طرفك في أي ناحية من نواحي الحياة تجد الصدق ودعامتهما التي بدونها تنهار.

فإذا لم يكن التاجر صادقاً كسدت سوقه وبارت بضاعته. وإذا لم يكن الصانع صادقاً لم يستخدمه صاحبُ رأس المال. وإذا لم يكن صاحب رأس المال صادقاً لم يجد عمالاً يعملون عنده.

وإذا لم يكن المعلم صادقاً لم يتتلمذ عليه تلميذ، ولم ينقل عنه طالب. وإذا لم يكن الحاكم صادقاً لم يثق به المحكومون، ولم تنتظم له سلطة.

وإذا لم تكن الرعية صادقة استحال على الحاكم أن يأخذ بشهادة، أو ينظر في ظلامة، أو ينصف مظلوماً، أو يعاقب ظالماً.

وقصارى القول أن الصدق إن ذهب من أمةٍ ذهبت معه تلك الأمة، وتصدع بناؤها، لذلك قرن الله الأمر بالصدق بالأمر بالتقوى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[(٣)] [(٤)]

---

(١) كذبة نيسان في الميزان، محمد خير رمضان يوسف، ص٦٤، ط١، دار ابن حزم، بيروت.

(٢) تعطير الأنام في تعبير المنام، الشيخ عبدالغني النابلسي، ص٢٦٧، ط٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

(٤) كذبة نيسان في الميزان، محمد خير رمضان يوسف، ص٥٤، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، دار ابن حزم بيروت، لبنان.

أبيات من الشعر في الصدق

- ومن أحسن ما قيل في الصدق:

عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضى المولى فأغبى الورى من أسخط المولى وأرضى العبيد

- وقال أحدهم:

ما أحسن الصدق في الدنيا لقائله

وأقبح الكذب عند الله والناس

- وقال آخر:

عوّد لسانك قول الصدق تحظ به

إن اللسان لما عودت معتادُ

موكل بتقاضي ما سننت له

في الخير والشر فانظر كيف ترتادُ

- وحُكي أنه سئل إبراهيم بن أدهم: كيف حالك يا أبا إسحاق؟

قال: إن كنت تطلب الصدق:

نرقعُ دنيانا بتمزيق ديننا

فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعُ

وإليكم أخي القارئ .. أختي القارئة هذه القصة عن الصدق:

أراد الإمام أبو يزيد البسطامي [(١)] – رحمه الله – الذهاب إلى بغداد لطلب العلم، فأعطته أمه أربعين ديناراً هي ميراثه من أبيه، وقالت له: ضع يدك في يدي، وعاهدني على التزام الصدق فلا تكذب أبداً، فعاهدها على ذلك، وخرج مع قافلة يريد بغداد، وفي أثناء الطريق خرج اللصوص «قطاع الطرق» ونهبوا كل ما في القافلة، ورأوا البسطامي رث الثياب، فقالوا: هل معك شيء؟ فقال: معي أربعون ديناراً، فسخروا منه وحسبوا أنه أبله وتركوه، وراحوا إلى الكهف الذي كان به كبيرهم، ينتظر ما يأتون به. فلما رآهم، قال: هل أخذتم كل ما في القافلة، قالوا: نعم، إلا رجلاً سألناه عما معه، فقال معي أربعون ديناراً، فتركناه احتقاراً لشأنه، ونظن أن به خبلاً في عقله، فقال: عليّ به، فلما حضر بين يديه. قال: هل معك شيء؟ قال نعم، معي أربعون ديناراً. قال: أين هي؟ فأخرجها وسلّمها له، فقال كبير اللصوص: أمجنون أنت يا رجل. كيف ترشد عن نقودك وتسلمها باختيارك؟ فقال له: لما أردت الخروج من بلدي، عاهدت أمي على الصدق، فأنا لا أنقض عهد أمي.

فقال كبير اللصوص: لا حول ولا قوة إلا بالله، أنت تخاف أن تخون أمك. ونحن لا نخاف أن نخون عهد الله. ثم أمر كبير اللصوص برد جميع ما أخذ من القافلة، وقال: أنا تائب على يديك يا رجل.

فقال من معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق واليوم أنت كبيرنا في التوبة. تبنا جميعاً إلى الله وتابوا جميعاً وحسنت توبتهم.

جعلني الله وإياك من أهل الصدق في الدنيا والآخرة، وعصمني وإياك من مداخل أهل الكذب برحمتك يا رب العالمين.

---

(١) هو طيفور بن عيسى أبو يزيد، ولد سنة ١٨٨هـ. زاهد مشهور من كبار التابعين له. سيرة عامرة، أصله من بسطام بلدة بين خراسان والعراق، توفي – رحمه الله سنة ٢٦١هـ.

أقوال في الصبـــر

الصبر

الصبر في اللغة:

هو حبس النفس عن الجزع. وقد صبر فلان عند المصيبة يصبر صبراً، صبرته: حبسته. والصبر مشتق من صبر إذا حبس ومنع وحملها على ما يقتضيه الشرع والعقل. وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوها.

قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم ﴾ (١)

الصبر في الاصطلاح الشرعي:

هو حبس النفس على ما أمرت به على مكابدة الطاعات والصبر على البلاء، وأنواع الضرر في غير معصية، والصبر من أعظم الأصول التي يعتمدها الزهاد وسالكو طريق الآخرة. وهو باب من أبواب كتب الرقائق. وقال الراغب في مفرداته: الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع. وقال ذو النون: هو التباعد عن المخالفات وإظهار الغنى عند حلول الفقر بساحة المعيشة وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه فإن كان حبس النفس بمصيبة سمي صبراً لا غير، ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة، ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر ويضاده المذل والهذر والإفشاء، وفي فضول العيش زهد، ويضاده الحرص، وفي اليسير من الدنيا قناعة وضده الشره.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

والصبر أنواع: الصبر على ما أمر الله به، والصبر عما نهى الله عنه، والصبر على ما قدره الله من المصائب.

والصابرون هم الذين يصبرون على دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الإسلام. فلا يدعوه لسراء ولا لضراء ولا لشدة ولا لرخاء حتى يموتوا مسلمين.

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢)

الصبر من البيان الإلهي:

قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (٣)

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (٤)

وقال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (٥)

وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾ (٦)

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٦.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

(٥) سورة النحل، الآية: ٩٦.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٧٥.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (1)

وقال تعالى: ﴿ يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ (2)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ (3)

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ (4)

وقال تعالى: ﴿ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (5)

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (6)



(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٧.

(٣) سورة العصر، الآيتان: ٢، ٣.

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٥ – ١٥٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٦) سورة النحل، الآية: ٤٢.

الصبر من البيان النبوي

- قال رسول الله ﷺ: «**المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم، ولا يصبر على أذاهم**»[(١)]

- وعن أنس – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه**[(٢)] **. فصبر عوضته منهما الجنة**»[(٣)]

- وعن أبي سعيد سعد بن مالك – رضي الله عنهما – أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده: «**ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر**»[(٤)]

- وعن أبي سعيد وأبي هريرة – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه**»[(٥)]

---

(١) رواه البخاري.

(٢) حبيبتيه: أي عينيه.

(٣) رواه البخاري.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

- وعن أبي يحيى صهيب بن سنان الرومي – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كل له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له**» [١]

- وعن أنس – رضي الله عنه – قال: مرّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: «**اتقي الله واصبري**» فقالت: إليك عني فإنك لم تُصب بمصيبتي ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ، فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» [٢]

- وقال ﷺ: «**الايمان نصفان: نصف في الصبر، ونصف في الشكر**»[٣]

- وقال – عليه الصلاة والسلام: «**إن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً**» [٤]

- وعن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «**قد أفلح من أسلم، وجعل رزقه كفافاً فصبر على ذلك**» [٥]

- وقال – عليه الصلاة والسلام: «**قال الله عز وجل: إذا وجهتُ إلى عبدٍ من عبيدي مصيبةً في بدنه أو ماله أو ولده، ثم استقبل ذلك بصبر**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البيهقي والديلمي.

(٤) رواه أحمد عن ابن عباس.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا.

جميل، استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً» (١)

- وقال – عليه الصلاة والسلام: **«إن المعونة تأتي من الله على قدر المؤونة، وإن الصبر يأتي من الله على قدر البلاء»** (٢)

- وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: **«من يصبر يُصبِّرهُ الله، ولم يعطوا عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»** (٣)

- وعن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: **«الصبر ثلاث: فصبرٌ على المصيبة، وصبرٌ على الطاعة، وصبرٌ عن المعصية. فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة، بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض. ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش مرتين»** (٤)

- وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: أتى جبريل – عليه السلام – النبي ﷺ فقال: **«إن الله عز وجل يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات فإن**

---

(١) رواه الحكيم والترمذي في النوادر، والديلمي في مسند الفردوس.

(٢) أورده الألباني في السلسلة الصحيحة رقم: ١٦٦٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا.

الله معطيك إحداهن: اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك، أو صبراً على بليتك، أو خروجاً من الدنيا إلى رحمتك» (١)

- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا جمع الله الخلائق نادى منادٍ: أين أهل الصبر؟ قال: فيقوم ناسٌ وهم يسير، فينطلقون سراعاً إلى الجنة فمن أنتم؟ فيقولون: إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر. فيقولون: وما كان صبركم؟ فيقولون: كنا نصبرُ على طاعة الله، وكنا نصبر عن معاصي الله. فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين**» (٢)

- وعن عصمة بن أبي حكيمة قال: بكى رسول الله ﷺ ذات يوم فقيل: يا رسول الله، ما أبكاك؟ قال: «**ذكرت آخر أمتي وما يلقون من البلاء، فالصابر منهم يجيء يوم القيامة وله أجر شهيدين**» (٣)



---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا وابن حبان والحاكم في المستدرك.

(٢) الصبر والثواب عليه/ ابن أبي الدنيا – تحقيق محمد خير رمضان يوسف.، ص٢٢ – ٢٣، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار ابن حزم، بيروت.

(٣) مصدر سابق، ص٥٩.

أقوال السلف عن الصبر والصابرين

- قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – : «اصبروا على عملٍ لا غنى لكم عن ثوابه، واصبروا عن عملٍ لا صبر لكم على عذابه».
- وروي أن عيسى – عليه السلام – قال: «إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون».
- وورد في بعض الأخبار: «الفقراء الصُّبراءُ هم جلساءُ الله يوم القيامة».
- وقال عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – «الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله».
- وقال أبو الدرداء – رضي الله عنه: «ذروة الإيمان: الصبر للحكم، والرضا بالقدر».
- وقال ابن عباس – رضي الله عنهما: «أفضل العدة الصبر على الشدة».
- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «اعلموا أن الصبر من الأمور بمنزلة الرأس من الجسد، إذا فارق الرأس الجسد فسد الجسدُ، وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور».
- وقال بعض الحكاء: «الصبر مفتاح الظفر، والتوكل على الله رسول النجاح».
- وقال بعض السلف: «اصبر لحكم من لا تجد معولاً إلا عليه، ولا مفزعاً إلا إليه».

- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «الصبر صبران، صبرٌ على ما تكره، وصبرٌ عما تحب».
- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «يوم لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر».
- وقال أبو حاتم – رحمه الله: «الصبر جماع الأمر، ونظام الحزم، ودعامة العقل، وبذر الخير، وحيلة من لا حيلة له».
- وروي عن عثمان بن عفان – رضي الله عنه: «وجدت الخير مجموعاً في أربعة: أولها: التحبب إلى الله تعالى بالنوافل، والثاني: الصبر على أحكام الله تعالى، والثالث: الرضا بتقدير الله عز وجل، والرابع: الحياء من نظر الله عز وجل».
- وقال حسن بن الشيخ: «اعمل بإخلاص وصبر، ثم لا تقلق إذا تأخرت النتائج»[١]
- وقال سلمان الفارسي – رضي الله عنه: «لن تنال ما تأمل إلا بالصبر على ما تكره».
- وقال عبدالله بن المعتز:

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله[٢]

---

(١) بدائع الزهور المختارة/ الشريف نجيد شرف عدنان آل غالب، ص١١٨.

(٢) المصدر السابق.

- وقيل: «متى وجدت الإرادة والصبر فلا يبقى شيء صعب».
- وقال علي لولده الحسين – رضي الله عنهما: «من كنوز الإيمان الصبر على المصائب».
- وقال لقمان الحكيم لابنه: «يا بني عليك بالصبر واليقين ومجاهدة نفسك، واعلم أن الصبر فيه الشوق والشفقة والزهد والترقب. فإذا صبرت عن محارم الله وزهدت في الدنيا وتهاونت بالمصائب لم يكن شيء أحب إليك من الموت وأنت تترقبه».
- وقال الإمام بشر الحافي: «لا ينبغي أن يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا من يروّض نفسه على الصبر على الأذى، ومعرفة الخير والشر لا تكفي وإنما لا بد فيها من العمل».
- وقال أحد التابعين: «الصبر الجميل ثمرة من ثمر العقل، ومن أخلاق الأنبياء والعظماء».
- وقال بعض السلف: «احتمال الفقر أحسن من احتمال الذل؛ لأن الصبر على الفقر قناعة، والصبر على الذل ضراعة».
- وقالوا: «ذروة الإيمان الصبر والرضا».
- وقالت عائشة – رضي الله عنها: «لو كان الصبر رجلاً لكان كريماً».
- كان خالد بن الوليد – رضي الله عنه – ينادي في ميدان المعركة: «يا أهل الإسلام إن الصبر عز، وإن الفشل عجز، وإن النصر مع الصبر».

- وقال أحدهم: «ليس من حسن الجوار ترك الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى».
- وقال الحسن البصري – رحمه الله: «الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله عز وجل إلا لعبد كريم عنده».
- قيل: «للصبر أسماء وما يقابلها: فالصبر عند المصيبة: سمي إيماناً. والصبر عند القتال: يسمى شجاعة. والصبر عند شهوة الأكل: يسمى قناعة. والصبر عند حفظ السر يسمى كتماناً. والصبر على تحمل الصديق: يسمى وفاءً. والصبر على مغويات الدنيا: يسمى زهداً».
- وقال يحيى بن معاذ – رحمه الله: «الصبر على الخلق من علامات الإخلاص».
- وقال أحد التابعين: «الصبر لله عناء، وبالله تعالى بقاء، وفي الله بلاء، ومع الله وفاء، وعن الله جفاء. والصبر على الطلب عنوان الظفر، وفي المحن عنوان الفرج».
- وقال آخر: «لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة».
- وقال الأحنف – رحمه الله: «لا تشاور الجائع واصبر حتى يشبع، ولا المضل حتى يجد، ولا الراغب حتى ينجح، ولا الماشي حتى يسكن، ولا القائم حتى يقعد».
- وعنه – رحمه الله: «من لم يصبر على كلمة سمع كلمات، ورب غيظ قد تجرعته مخافة ما هو أشد منه».

- وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بني الصبر على المهالك من حسن اليقين، ولكل عمل كمال وغاية، وكمال العبادة الورع، واليقين».
- وقال لقمان الحكيم: «الصبر صبران: صبر على ما تكره فيما ينوبك من الحق، وصبر عما تحب مما يدعوك إليه الهوى».
- وقال محمد بن منازل: «الصبر حصنٌ من حصون الصدق، ومنه يرحل إلى الآخرة».
- وعن الأصمعي قال: دخلت البادية، فرأيت أعرابية من أحسن الناس وجهاً. ورأيت زوجها من أقبح الناس وجهاً، وهي تقول لزوجها: بشرى لك، فإني وإياك في الجنة. فقال لها: وما علمك من ذلك؟ فقالت: لأني ابتليت بقبحك فصبرت، وموضع الصابرين الجنة، ورزقت أنت بحسني فشكرت، وموضع الشاكرين الجنة».
- وقال إبراهيم الخواص: «الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة».
- وقال ابن أبي الدنيا: «وجدت في الحكمة: الصبر على عشرة وجوه: الصبر عن المعاصي، والصبر على الفرائض، والصبر على الشبهات والصبر على الفقر، والصبر على الأوجاع والصبر على المصائب، والصبر على أذى الناس، والصبر عن الشهوات، والصبر عن فضول الكلام، والصبر على النوافل».
- وقيل: «من اتبع الصبر، اتبعه النصر».
- وقيل أيضاً: «خف المضارّ، من خلل المسارّ، وارج النفع من موضع المنع، واحرص على الحياة بطلب الموت، فكم من بقاءٍ سببه استدعاء

الفناء، ومن فناءٍ سببه إيثار البقاء، وأكثر ما يأتي الأمن قبل الفزع».

- وقال وداعة السهمي في كلام له: «اصبر على الشرّ إن قدحك، فربما أجلى عما يفرحك، وتحت الرغوة اللبن الصريح».
- وقال أحدهم: «إن من احتمل المحنة، ورضي بتدبير الله تعالى في النكبة، وصبر على الشدة، كشف له عن منفعتها، حتى يقف على المستور عنه من مصلحتها».
- وقال بزر جمهر: «انتظار الفرج بالصبر، يعقب الاغتباط».
- وقال ابن القيم – رحمه الله: «الإيمان نصفين: نصف صبر ونصف شكر، وكان حقيقاً على من نصح نفسه، وأحسب نجاتها، وآثر سعادتها، أن لا يهمل هذين الأصلين، ولا يعدل عن هذين الطريقين القاصدين».
- وقال بعض السلف: «إذا أعجبك نفسك في قيام الليل فتذكر من هم أرفع منزلة منك، نائمون على فرشهم، هم أهل البلاء الصابرون».
- وقال شريح – رحمه الله: «إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عز وجل عليها أربع مرات: أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي، واحمده إذ رزقني الصبر عليها، واحمده، إذ وفقني للاسترجاع لما أرجوه فيه من الثواب، إذ لم يجعلها في ديني».
- وقال ابن الجوزي – رحمه الله: «وليعلم العاقل أن البلايا ضيوف فليعد لها قرى الصبر».
- وقال بعض الحكماء: «العاقل في أول يوم من المصيبة يفعل ما يفعله

الجاهل بعد أيام، ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم».

- وقال بعض السلف: «ذكر النعم يورث الحب لله، لما رأى رجل قرحة في يد محمد بن واسع. ففزع منها، قال له: «الحمد لله أنها ليست في لساني. ولا على طرف عيني، الحمد لله الذي فضلني على كثير من عباده: فقال: يرحمك الله وبماذا فضلك؟ قال: رزقني لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وجسداً على البلاء صابراً».

- ومما يروى أن أحد السلف لما برئ من مرضه فجاؤوا يهنئونه. فلما فرغ الناس من كلامهم قال الفضل بن سهل: «إن في العلل لنعماً لا ينبغي للعاقل أن يجهلها: تمحيص للصبر، وتعرض لثواب الصبر، وإيقاظ من الغفلة، وإذكار بالنعمة في حال الصحة، واستدعاء للمثوبة، وحض على الصدقة».

- وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال لعطاء: «ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ وقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة. وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**» قالت: أصبر، قالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها.

- وقال ابن القيم – رحمه الله: «لما كان الصبر حبس اللسان عن الشكوى إلى غير الله، والقلب عن التسخط، والجوارح عن اللطم وشق الثياب ونحوها، كان ما يضاده واقعاً على هذه الجملة فمنها الشكوى إلى المخلوق على هذا الوجه بدون حاجة لذلك ومنها الهلع: وهو الجزع

عند ورود المصيبة، ومنها إظهار المصيبة والتحدث بها».

- وقال لقمان الحكيم: «من صبر على احتمال مؤن الناس سادهم».
- سئل السري عن الصبر، فلدغه عقرب مراراً وهو ساكن، فقيل له: لِمَ لمْ تلقها عنك. فقال: استحيت من الله أن أتكلم في الصبر ولا أصبر».
- وقال لقمان الحكيم لابنه: «يا بني: الصبر على المهالك من حسن اليقين، ولكل عمل كمال وغاية، وكمال العبادة الورع واليقين، وغاية الشرف والسؤدد حسن العقل. فمن حسن عقله غطى عيوبه، وأصلح مساوئه، ورضي عنه مولاه».
- وحكي عن امرأة من العابدات أنها عثرت فانقطعت إصبعها فضحكت! فقيل لها: أتضحكين وقد انقطعت إصبعك؟ فقالت: حلاوة أجرها، أنستني مرارة ذكرها قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١)
- وقال أبو علي الدقاق: «فاز الصابرون بعزِّ الدارين؛ لأنهم نالوا من معيته، ومنها: أنه جمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم وهي الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم، قال تعالى:﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾
- قيل: إن امرأة أيوب – عليه السلام – قالت له: «لو دعوت الله تعالى أن

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.

يشفيك» فقال لها: «ويحك! كنا في النعماء سبعين عاماً، أفلا نصبر على الضراء مثلها؟ فلم يلبث إلا يسيراً حتى عوفي».

- وقال بعض السلف. وقد عزي على مصيبة نالته. فقال: «مالي لا أصبر وقد وعدني الله على الصبر ثلاث خصال، كل خصلة منها خير من الدنيا وما عليها، ومنها: إنه سبحانه أباح لهم أن يعاقبوا على ما عوقبوا به، ثم أقسم قسماً مؤكداً غاية التأكيد أن صبرهم خير له. فقال: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[1]

- وقال خلف: «سمعت رجلاً مبتلى يقول: الصبر على منن الرجال أشد من الصبر على ما بي من البلاء».

- وقال الإمام مالك بن أنس[2] – رحمه الله – «العاقل من عقل عن الله عز وجل أمره وصبر على بلوى زمانه».

- وعن أبي محمد الأزدي البصري قال: رأى رجلٌ الحسن بن حبيب في النوم بعد ما مات، فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بصبري على الفقر في الدنيا»[3]

- وعن الأصمعي أنه قال: أصيبت امرأة من الأعراب بابن لها مات

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

(٢) أخبار السلف، زكريا بن غلام قادر باكستاني، ص١٤٢، ط١، مكتبة الرشد، الرياض. ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٣) مصدر سابق، ص١٤٣.

وأحسنت العزاء والصبر، فقيل لها: ما رأيناك جزعت على ابنك؟ فقالت: «إن القلب يحترق، والكبد ينقطع، ولكن آثرت طاعة الله على محبة الشيطان».

- وقال ابن سعدي – رحمه الله: «إذا أصيبت العبد بمصيبة، فلجأ إلى الصبر والاحتساب خفت وطأتها وهانت مشقتها، وتم له أجرها وكان من الفضلاء الكرام. ومن ضعف صبره وحضر جزعه اشتدت مصيبته، وتضاعفت آلامه القلبية والبدنية وفاته الثواب، واستحق العقاب، ولا بد أن يعلم في آخر أمره فيسلوا سلوا البهائم، وذلك من أخلاق اللئام».
- وعن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – قال عمر بن الخطاب: «لو كان الصبر والشكر بعيرين، ما باليت أيهما ركبت».
- وعن سعيد بن عبدالعزيز قال: «إذا رأيت أمراً لا تستطيع غيره، فاصبر وانتظر فرج الله» (١)
- وعن يوسف بن أسباط قال: سفيان الثوري يقول: «ثلاثة من الصبر لا تحدث بمصيبتك، ولا بوجعك، ولا تزكِّ نفسك» (٢)
- وعن سعيد بن جبير – رضي الله عنه – قال: «الصبر اعتراف العبد بما أصابه منه، واحتسابه عند الله رجاء ثوابه. وقد يجوع الرجل وهو متجلد لا يرى منه إلا الصبر» (٣)

---

(١) من أخبار السلف، ص١٤٣.

(٢) مصدر سابق، ص١٤٥.

(٣) الصبر لابن أبي الدنيا، ص١١٣.

- وعن سيار عن عبدالواحد بن زيد. أنه قال: «من نوى الصبر على طاعة الله صبره الله عليها وقواه، ومن عزم على الصبر عن معاصي الله أعانه الله على ذلك وعصمه عنها»(١)

- وعن علي بن عبدالحميد قال: «أصبر الناس من صبر على الحق»(٢)

- وقال الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «الصبر على أربع شعب: على الشوق، والشَّفق، والزهادة، والترقب؛ فمن اشتاق الجنة سلا عن الشهوات. ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات. ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات. ومن ارتقب الموت تسارع إلى الخيرات».

- وعن عمر بن عبدالعزيز – رضي الله عنه – وهو على المنبر: «ما أنعم الله على عبدٍ نعمة، فانتزعها منه، فعاضه مكان ما انتزع منه الصبر، إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزع منه. ثم قرأ: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾(٣)

- وعن سعيد بن عامر. قال: كان صالح المرئ يدعو: «اللهم ارزقنا صبراً على طاعتك، وارزقنا صبراً عن معصيتك، وارزقنا صبراً على ما تحب، وارزقنا صبراً على ما نكره، وارزقنا صبراً عند عزائم الأمور»(٤)

---

(١) من أخبار السلف، ص١٤٨.

(٢) مصدر سابق، ص١٥٠.

(٣) سورة الزمر، الآية: ١٠.

(٤) مصدر سابق، ص٣٢.

- وقال الإمام مالك بن دينار – رحمه الله: «ما من أعمال البر عملٌ إلا ودونه عقيبة، فإن صبر صاحبها أفضت به إلى روح، وإن جزع رجع».

- وعن أبي الدرداء – رحمه الله – أنه قال: «إن الدنيا خوّانة لا يدوم نعيمها، ولا يؤمن فجائعها ومن يعش يُبتلى، ومن يتفقد يُفقد، ومن لا يُعدّ صبراً لفجائع الأمور يعجز».

- وقال زياد بن عمرو: «كلنا نكره الموت وألم الجراح، ولكنا نتفاضل بالصبر».

- وعن أبي بكر بن أبي مريم. عن ضمرة بن حبيب. قال: «الحلم زين، والتقى كرم، والصبر خيرُ مراكب الصعب».

- وعن عثمان بن عطاء، عن أبيه، قال: «إن الجنة حُظرت بالصبر والمكاره، فلا تؤتى إلا من باب صبرٍ أو مكروه، وإن جهنم شُعبت بالشهوات واللذات، فلا تؤتى إلا من باب شهوةٍ أو لذة».

- وقال خلف: سمعت أبا سليمان داود الجواربي يقول يوماً وأقبل عليَّ فقال: يا أبا إسماعيل، قل لأصحابك أهل البلاء اغتنموا الصبر فكأنكم قد بلغتم مدته. وقال خلف: فذكرت ذلك لرجل منهم يكنى أبا ميمون، وكان عاملاً. فقال: يا أبا إسماعيل، إن للصبر شروطاً. قلت: ما هي يا أبا ميمون؟ قال: إن من شروط الصبر أن تعرف كيف تصبر؟ ولمن تصبر؟ وما تريدُ بصبرك؟ وتحتسب في ذلك، وتُحسن النية فيه، لعلك إن يخلص لك صبرك، وإلا فإنما أنت بمنزلة البهيمة نزل بها البلاء فاضطربت لذلك، ثم هدأ فهدأت، فلا هي عقلت ما نزل بها فاحتسبت

وصبرت، ولا هي صبرت، ولا هي عرفت النعمة حين هدأ ما بها فحمدت الله على ذلك وشكرت».

- حدثنا علي بن مسلم، حدثنا سعيد بن عامر، عن المعتمر، عن ليث بن أبي سُليم قال: قيل لأيوب – عليه السلام – يا أيوب لا تعجبن بصبرك، فإني قد علمت ما يمتصُّ كل شعرةٍ من لحمك ودمك، ولولا أني أعطيت موضع كل شعرة منك صبراً ما صبرت.
- وقال معاوية – رضي الله عنه – لعمرو بن العاص: من أبلغ الناس؟
  - قال: من قلل من الإكثار واقتصر على الإنجاز.
  - قال: فمن أصبر الناس؟
  - قال: من ترك دنياه في إصلاح دينه.
  - قال: فمن أشجع الناس؟
  - قال: من ردّ جهله بحلمه.
- وقال ابن تيمية – رحمه الله: «الصبر الجميل: هو الذي لا شكوى فيه ولا معه. والصفح الجميل: هو الذي لا عتاب معه. والهجر الجميل: وهو الذي لا أذى معه».
- ومن منثور الحكم الدارجة: «من أحب البقاء فليعد للمصائب قلباً صبوراً، فالصبر على موانع الكره تدرك الحظوظ، وعند انسداد الفرج تبدو مطالع الفرج، وبمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور، فمن صبر نال المنى، ومن شكر حصّن النعمى، ومن قل صبره عزب رأيه، واشتد جزعه، فصار صريع همومه، وفريسة غمومه».

- وقال الأديب ابن المقفع: «الصبر صبران: فاللئام أصبر أجساماً، والكرام أصبر نفوساً. وليس الصبر الممدوح صاحبه أن يكون الرجل قوي الجسد على الكد والعمل؛ لأن هذا من صفات الحمير. ولكن أن يكون للنفس غلوباً، وللأمور متحملاً، ولجأشه عند الحفاظ مرتبطاً».

- حدثنا علي بن الحسن بن موسى، عن موسى بن عيسى عن الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي قال: حدثني بعض الحكماء: خرجت وأنا أريد الرباط، حتى إذا كنت بعريش مصر، أو دون عريش مصر، إذا أنا بمظلة، وإذا فيها رجلٌ قد ذهبت يداه ورجلاه وبصره، وإذا هو يقول: اللهم إني أحمدك حمداً يوافي محامد خلقك، كفضلك على سائر خلقك، إذ فضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً

- فقلت: والله لأسألنه أعلمه أم ألهمه إلهاماً؟
- قال: فدنوت منه، فسلمت عليه، فرد عليّ السلام.
- فقلت: إني سائلك عن شيء أتخبرني به؟
- قال: إن كان عندي منه علم أخبرتك به.
- فقلت: على أي نعمة من نعمه تحمده عليها، أم على أي فضيلة من فضائله تشكره عليها؟
- قال: أليس ترى ما بي؟
- قال: قلت بلى.
- قال: فوالله لو أن الله سبحانه صب علي السماء ناراً فأحرقني، وأمر الجبال فدمرتني، وأمر البحار فأغرقتني وأمر الأرض فخسفت بي، ما

ازددت له إلا حباً، ولا ازددت له إلا شكراً. وإن لي إليك حاجة، بني لي كان يتعاهدني لوقت صلاتي ويطعمني عند إفطاري، وقد فقدته منذ أمس، انظر هل تحسه لي؟

- فقلت: إن في قضاء حاجة هذا العبد لقربة إلى الله.
- قال: فخرجت في طلبه، حتى إذا كنت بين كثبان من رمال، إذ أنا بسبع قد افترس الغلام يأكله.
- قال: قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون! كيف آتي هذا العبد الصالح من وجه رفيقٍ فأخبرهُ الخبر لا يموت؟
- قال: فأتيته فسلمت عليه، فردّ علي السلام، فقلت: إني سائلك عن شيء أتخبرني به؟
- قال: إن كان عندي منه علمٌ أخبرتك به.
- قال: قلت: أنت أكرم على الله منزلة أم أيوب – عليه السلام؟
- قال: بل أيوب ﷺ كان أكرم على الله مني، وأعظم منزلة عند الله مني.
- قال: قلت: أليس ابتلاه الله فصبر، حتى استوحش منه من كان يأنس به وصار غرضاً لمرار الطريق؟
- قال: بلى.
- قلت: فإن ابنك الذي أخبرتني من قصته ما أخبرتني خرجت في طلبه، حتى إذا كنت بين كثبان من رمال، إذا أنا بسبع قد افترس الغلام يأكله.

- فقال: الحمد لله الذي لم يجعل في قلبي حسرة في الدنيا، ثم شهق شهقة فمات رحمه الله.
- قال: قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون. من يعينني على فضله وكفنه ودفنه؟
- قال: فبينما أنا كذلك، إذا أنا بركب قد بعثوا رواحلهم يريدون الرباط.
- قال: فأشرت إليهم، فأقبلوا إلي فقالوا، ما أنت وهذا؟ فأخبرتهم بالذي كان من أمره.
- قال: فثنوا أرجلهم، فغسلناه بماء البحر، وكفناه بأثواب كانت معهم، ووليت الصلاة عليه من بينهم، ودفناه في مظلته تلك. ومضى القوم إلى رباطهم، وبت في مظلته تلك الليلة أنسا به، فلما مضى من الليل مثل ما بقي منه، إذا أنا بصاحبي في روضة خضراء، عليه ثياب، قائماً يتلو الوحي.
- فقلت: ألست أنت صاحبي؟
- قال: بلى.
- قلت: فما الذي صيرك إلى ما أرى؟
- قال: وردت من الصابرين على درجة لم ينالوها إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء.

• قال الأوزاعي: قال لي الحكيم: يا أبا عمرو وما تُنكرُ من هذا الولي؟ ولاه، ثم ابتلاه فصبر، وأعطاه فشكر؟ والله لو أن ما جنت عليه أقطار الجبال وضحكت عنه أصداف البحار، وأتى عليه الليل والنهار، أعطاه

الله أدنى خلق من خلقه، ما نقص ذلك من ملكه شيئاً. قال الوليد: قال لي الأوزاعي: ما زلت أحب أهل البلاء منذ أن حدثني الحكيم بهذا الحديث.

- حدثنا أبو عمران الخصاصي قال: سمعت صالح بن عبدالكريم يقول: «جعل الله رأس أمور العباد العقل، ودليلهم العلم، وسائقهم العمل ومقويهم على ذلك الصبر».

- وقال علي بن أبي مريم عن محمد بن الحسين، حدثنا حكيم بن جعفر قال: حدثني قرة النحات. قال:

- قلت لعابد في المقدس: أوصني.
- قال: عليك بالصبر، والتصبر، والاصطبار.
- قال: قلت: ما الصبر، وما التصبر، وما الاصطبار؟
- قال: أما الصبر فالتسليم والرضى بنزول المصائب، والبلوى، وتوطين النفوس عليها قبل حلولها.
- وأما التبصر فتجرع مرارتها عند نزولها، ومجاهدة النفس على هدوئها وسكونها. وأما الاصطبار فاستقبال ما ينزل منها من المصائب والبلوى بالطلاقة والبشر، وانتظار ما لم ينزل منها بالاعتبار والفكر. فإذا كان العبد كذلك كان مصطبراً، لم يُبال ما تقدمه من ذلك».

- وجدت في بعض الحكمة: «الصبرُ عن المعاصي، والصبر على الفرائض، والصبر على الشبهات، والصبر على الفقر، والصبر على الأوجاع، والصبر على المصائب، والصبر على أذى الناس، والصبر

عن الشهوات، والصبر عن فضول الكلام، والصبر على النوافل. وكل عمل من هذه الوجوه تعمله وهو شاقٌ عليك فأنت فيه صابر، وكل عملٍ تعمله منها وليس فيه مشقةٌ فليس ذلك من باب الصبر، ويكون ذلك من حُسن المعونة من الله سبحانه لعبده، كفاه مؤونة المشقة وأذاقه حلاوة المعونة».

- وعن محمد بن الحسين قال: حدثني خلف بن إسماعيل. قال: قال لي رجل من عقلاء الهند: «لا يكون الصبر إلا في رجلٍ له عند الله عظيم من الذخر والرب صابر برَّز به صبره أمام المتقين يوم القيامة. والصبر في كل شيءٍ حسن، وهو في طاعة وعن معصيته أحسن»[(١)]
- وقال الحسن البصري: «الرضا عزيز، ولكن الصبر معول المؤمن»[(٢)]
- وقال عمر - رضي الله عنه - لأشياخ من بني عبس: «بمَ قاتلتم الناس»؟ قالوا: «بالصبر، لم نلق قوماً إلا صبرنا لهم كما صبروا لنا»[(٣)]
- وقال البطال: «الشجاعة صبر ساعة».
- وقال بعض السلف: كلنا يكره الموت وألم الجراح، ولكن نتفاضل بالصبر».

---

(١) الصبر والثواب عليه/ ابن أبي الدنيا - تحقيق محمد خير رمضان، ص١٠٧.

(٢) الأقوال الذهبية من شرح الأربعين النووية/ حمود المطر، ص٢٥، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م - دار طويق للنشر والتوزيع - الرياض.

(٣) مصدر سابقة، ص٢٥.

- «لو كان الصبر نباتاً شوكياً لكان بلسماً».
- لا تدعُ بالصبر من بين الأدعية، فإنه لا يكون إلا بعد كره ومصيبةٍ واطلب من ربك المعافاة الدائمة [١]

أخي القارئ أختي القارئة: إن غاية ما تصبر المرأة عن زوجها أربعة أشهر فما فوق ذلك يتعد صبرها. وأصل ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كان ذات ليلة فسمع امرأة تقول:

ألا طال هذا الليل وازوَّر جانبه وأرقني أن لا خليل ألاعبه

فوالله لولا الله لا رب غيره لزعزع من هذا السرير جوانبه

مخافة ربي والحياء يكفني وأكرم زوجي أن تنال مراكبه

فلما أصبح سأل عنها. قالوا فلانة بنت فلان زوجها غائب فذهب إلى ابنته حفصة، وقال: يا بنية أنت زوج النبي ﷺ وأوثق نساء العالمين في نفسي، وإني جئتك لأسألك عن مسألة من أمور المسلمين فلا تستحي مني وأصدقيني. كم تصبر المرأة عن زوجها؟ قالت أربعة أشهر، قال وخمسة؟ قالت وخمسة، قال وستة؟ قالت: لا إلا بمشقة، فأرسل إلى المرأة القائلة امرأةً لتكون معها وكتب إلى أمراء الأجناد أن لا يغيبوا رجلاً فوق أربعة أشهر. فينبغي لكل أمير أو وزير أن يحفظ هذه القاعدة. والله أعلم.

إذاً فالصبر قد يكون لحظات وقد يكون سنوات، وهو مرٌّ وصعب، لا يقدر عليه إلا أعاظم الرجال، وأكابر المؤمنين، وأولو العزم. وإذا ابتليت فلا بد من الصبر، ولا يفتر لسانك عن طلب اللطف والعافية من الله، فإن مع العسر يسراً،

---

(١) هكذا قلت، محمد خير رمضان يوسف، ص٣١، ط١، دار ابن حزم، بيروت.

وإن الفرج لآتٍ بإذن الله، وإياك واليأس، فإنه ليس من الإيمان [١]

أمثال وحكم عن الصبر [٢]:

- «الصبر على مصيبة، مصيبة على الشامت»، (محمد الجواد).
- «تعودت مر الصبر حتى ألفته»، (أبو العتاهية).
- «لن تنال ما تأمل إلا بالصبر على ما تكره»، (سلمان الفارسي).
- «من يملك الصبر يملك ما يريد». (بنيامين فرانكلين).
- «قوة الإيمان، الصبر على الشدائد».
- «الصبر من شيم الرجال».
- دواء الدهر، الصبر عليه».
- «إنني انتصر على معظم مشاكلي بالصبر والإيمان».

أخي القارئ: الصبر في الرؤية: رفعة وبشارة. وربما دل على حسن العافية فيما يخشاه. ومن رأى أنه صبر على تضرر أو شدة، فإنه يرزق رفعة وخيراً، أو حسن حال، وسلامة وعافية وظفراً [٣]

واختم بهذه القصة عن الصبر [٤]

---

(١) مصدر سابق، ص٣٠.

(٢) بدائع الزهور المختارة، الشرمق نجيد شرف عدنان آل غالب، ص١١٨، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الدار السعودية للنشر – جدة.

(٣) تعطير الأنام في تعبير المنام، الشيخ عبدالغني النابلسي، ص٢٦٤/ ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، دار المعرفة بيروت، لبنان.

(٤) دليل السائلين/ أنس إسماعيل أبو داود، ص٣٨٦، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الناشر نفسه، جدة – السعودية.

كان عروة بن الزبير - رضي الله عنه - أحد فقهاء التابعين في الإسلام، مثلاً صالحاً للمؤمن الصابر الراضي. المقدِّر لنعم الله، فقد روي أن رجله وقعت فيها الأكلة. فقرر الأطباء في ذلك الوقت قطعها حتى لا تسري إلى ساقه كلها ثم إلى فخذه، وربما ترقت إلى جسده فأكلته، فطابت نفسه بنشرها. فعرضوا عليه أن يشرب شيئاً يُغيب عقله حتى لا يحس بالألم ويتمكنوا من قطعها، فقال: ما ظننت أن أحداً يؤمن بالله يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يعرف ربه عز وجل، ولكن دعوني أصلي لله ركعتين وفي آخر صلاتي اقطعوها، فقطعوها في آخر صلاته وهو صامت لا يدري ولا يحس ولا يتكلم، ولا يعرف أنه أنَّ أو اشتكى. وشاءت إرادة الله أن يبتلى الرجل على قدر إيمانه، ففي الليلة التي قُطعت رجله سقط ابن له، كان أحب أبنائه إليه، من سطح فمات، فدخلوا عليه فعزوه فيه، فقال: اللهم لك الحمد، كانوا سبعة فأخذت واحداً وأبقيت ستة، وكان لي أربعة أطراف فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة، فإن كنت أخذت فلقد أعطيت، ولئن كنت قد ابتليت فقد عافيت



أشعار قيلت في الصبر

- قال أحدهم:

سأصبر حتى يأتي الله بالذي ... يشاء وحتى يعجب الدهر من صبري
فكم فاقةٍ بات الغنى من خلالها ... يلوح وكم عُسرٍ تكشف عن يسر

- وقال آخر:

الصبر مفتاح ما يُرجى ... وكل خيرٍ به يكون
فاصبر وإن طالت الليالي ... فربما ساعد الحرونُ
وربما نيل باصطبار ... ما قيل هيهات لا يكونُ

وقال أبو عمران موسى بن محمد الطولقي الشاعر:

تصَّبر إن عقب الصبر خيرٌ ... ولا تجزع لنائبة تنوبُ
فإن اليسر بعد العسر يأتي ... وعند الضيق تنفرج الكروب
وكم جزعت نفوسٌ من أمور ... أتى من دونها فرج قريب

- وقال آخر:

إذا ما أتاك الدهر يوماً بنكبةٍ
فأفرغ لها صبراً ووسع لها صدراً
فإن تصاريف الزمان عجيبةٌ
فيوماً ترى يسراً ويوماً ترى عسراً

- وقال آخر:

غاية الصبرُ لذيذٌ طعمها ... وبدا الصبر منه كالصبرْ
إن في الصبر لفضلاً بيناً ... فاحمل النفس عليه تصبرا

• وقال آخر:

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبين إلا خالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

• وقال آخر:

كن عن همومك معرضاً وكل الأمور إلى القضاء
وانعم بطول سلامة تسليك عما قد مضى
فلربما اتسع المضيقُ وربما ضاق الفضا
ولرب أمرٍ متخفٍ لك في عواقبه الرضا
الله يفعل ما يشاءُ فلا تكن متعرضا

• وقال آخر:

بالصبر تبلغ ما ترجوه من أملٍ فاصبر فلا ضيق إلا بعده فرجُ

• وقال آخر:

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

• وقال آخر:

اصبر قليلاً فبعد العسر تيسيرُ
وكل أمرٍ له وقتٌ وتدبير

اللهم اجعلني صبوراً، واجعلني شكوراً، واجعلني في عيني صغيراً وفي أعين الناس كبيراً.

أقوال عن الدنيا وأحوالها

الدنيا

الدنيا: وردت كلمة الدنيا في المنجد «اللغة والأعلام» [١] جمع دُنى: أي الحياة الحاضرة، نقيض الآخرة. والنسبة إليها دُنيويّ ودُنياويّ ودُنيي. يقال: «هو في دُنيا دانية» أي ناعمة يأخذ ما يريد من قرب ويقال: «هو ابن عَم دنى ودنياً ودنيا ودُنْبَا ودنية»، أي هو ابن عم لحا لاصق النسب. كما ورد وكلمة (د ن ا) [٢] الدال والنون والألف من سما وسميت (الدنيا) لدنوها والجمعُ (الدُّنا) مثل الكبرى والكُبر وأصله «دُنوٌ فحذفت الواو لاجتماع الساكنين والنسبة إليها (دُنياويٌّ) وقيل: (دنيويٌّ) و(دُنْيِيٌّ). و(دانى) بين الأمرين قارب، وبينهما (دناوة) أي قرابة أو قربٌ.

قال أهل الكلام: الدنيا قنطرة لمن عَبَر، وعبرةٌ لمن اعتبر والدنيا هي المكان الذي يحوي ما تطلبه النفس من لذائذ ورغبات. والحياة الدنيا ما هي إلا معبر وممر للآخرة وليست دار مقام ومستقر. والحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين لخضرته وكثرة نضارته، ثم لا تلبث أن تصير هشيماً كأن شيئاً لم يكن.



---

(١) انظر كلمة الدنيا في المنجد، ط٢١، طبعة بيروت.

(٢) مختار الصحاح/ الشيخ محمد بن أبي بكر الرازي، ص١٨٨، ط١، طرابلس لبنان.

الدنيا من البيان الإلهي

- قال الله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾ (١)
- وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ (٢)
- وقال تعالى: ﴿وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (٣)
- وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ (٤)
- وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٨.

بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١)

- وقال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٢)

- وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (٣)



(١) سورة يونس، الآية: ٢٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.

الدنيا من البيان النبوي

- عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذت لك وطاءً؟ فقال: «**مالي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**» (١)

- وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له**» (٢)

- وقال – عليه الصلاة والسلام: «**إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يُبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى**» (٣)

- وعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحب دنياه أضرّ بآخرته، ومن أحبَّ آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى**» (٤)

- وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتركوا الدنيا لأهلها، اتركوا الدنيا لأهلها، اتركوا الدنيا لأهلها، فإن من أخذ الدنيا فوق ما يكفيه فإنه يأخذ من جنته ولا يشعر**» (٥)

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد والبزار والطبراني.

(٥) رواه الديلمي وضعفه في ضعيف الجامع الصغير.

- وقال – عليه الصلاة والسلام: «**لو أن ابن آدم أعطي وادياً ملأً من ذهب أحب إليه ثانياً، ولو أعطي ثانياً أحبَّ إليه ثالثاً. ولا يسدُّ جوف ابن آدم إلا التراب. ويتوب الله على من تاب**» (١)

- وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**» (٢)

- وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالماً ومتعلماً**» (٣)

- وعن المستور بن شداد – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، لينظر بم يرجع**» (٤)

- وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله. فقال: «**إن مما أخاف عليكم بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**» (٥)

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه مسلم.

(٥) متفق عليه.

- وعن أبي كبشة الأنماري – رضي الله عنه – أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في أثناء حديث له: «**إنما الدنيا لأربعة أنفر، عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعرف الله فيه حقّاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٌ رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء. وعبدٌ رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقّاً فهذا بأخبث المنازل، وعبدٌ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته فوزرهما سواء**» (١)

- وعن عمرة بنت الحارث – رضي الله عنها – عن الرسول ﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة، فمن أصاب منها شيئاً من حلّه. فذلك الذي يبارك فيه، وكم من متخوِّضٍ في مال الله ومال رسوله له النار يوم القيامة**» (٢)

- وعن سهل بن سعد – رضي الله عنه – عن الرسول ﷺ قال: «**لو كانت الدنيا تعادل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**» (٣)

- وعن المستورد بن شداد قال: كنت مع الركب الذين وقفوا مع رسول

---

(١) رواه الترمذي. وقال حديث حسن صحيح.

(٢) رواه الطبراني في صحيح الجامع الصغير.

(٣) رواه الترمذي.

الله ﷺ على السخلة الميتة، فقال رسول الله ﷺ: «**أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها**»؟! قالوا: من هوانها ألقوها يا رسول الله، قال: «**فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها**» (١)

- وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر**» (٢)
- وعن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعدَّ نفسك من أهل القبور**» (٣)
- وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**» (٤)
- وقال ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**» (٥)



(١) رواه الترمذي وابن ماجة.

(٢) رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجة.

(٣) رواه البخاري والترمذي وابن ماجة.

(٤) رواه الترمذي.

(٥) أخرجه الحاكم: ٤/ ٤٠٦، وصححه ووافقه الذهبي.

من أقوال السلف عن الدنيا

- روي أن عيسى – عليه السلام – قال: «مثل طالب الدنيا كمثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شرباً ازداداً عطشاً».
- قيل لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – صف لنا الدنيا فقال: «ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء، حلالها حساب، وحرامها عقاب، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن».
- وقال ابن مسعود – رضي الله عنه: «ليس من أحد إلا وهو ضيف على الدنيا، وماله عارية، فالضيف مرتحل والعارية مردودة».
- وقال ابن الحنفية – رحمه الله: «من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا».
- وقال الإمام الشافعي – رحمه الله: «من غلبت عليه شدة الشهوة لحب الحياة ألزمته العبودية لأهلها، ومن رضي بالقنوع زال عنه الخضوع».
- وقال الحسن البصري – رحمه الله: «من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحرة».
- وقال عيسى – عليه السلام: «لا تتخذوا الدنيا ربّاً فتتخذكم عبيداً، أكثروا كنزكم عند من لا يضيعه، فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة، وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة».
- وروي أن الله تعالى أوحى إلى عيسى – عليه السلام: «لا تحب الدنيا فإني لست أحبها، وأحبَّ الآخرة فإنها دار المعاد، وإليها سبق لكم

الميعاد. يكفيك منها خرقةٌ من وَبَرِ تسترُ بها عورتك، وفلقة خبزٍ تقطع بها حرارة جوعك. وما مثلك فيها بقلة قرارك إلا مثل فيء أبداً على سفر».

- قيل: إن إعرابياً نزل بقوم فقدموا إليه طعاماً فأكل، ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة، فأصابته الشمس فانتبه وهو يقول: ألا إنما الدنيا كظل تثيه ولا بد يوماً أن ظلك زائل.

إنمـــا الدنـــيا كظـــل تثـــيه ولا بـــد يومـــاً أن ظلـــك زائـــل

- قالوا: «الدنيا بستان زينت بخمسة أشياء: علم العلماء، وعدل الأمراء، وأمانة التجار، وعبادة العباد، ونصيحة العقلاء. فجاء إبليس – عليه لعنة الله – بخمسة أشياء فأقامها إلى جانب هذه الخمس، فجاء بالحسد في جنب العلم، وجاء بالجور في جنب الحكم، وجاء بالرياء في جنب العباد، وجاء بالخيانة في جنب الأمانة، وجاء بالغش في جنب النصيحة» (١)

- وقال عثمان بن عفان – رضي الله عنه: «حبب إليّ من الدنيا ثلاث: إشباع الجيعان، وكسوة العريان، وتلاوة القرآن» (٢)

- وقال عثمان بن عفان – رضي الله عنه: «إن الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس، ومال إليها كثير منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها، فإنها ليست بثقة، واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها».

---

(١) تهذيب خالصة الحقائق، محمود الغادياني، هذبه وخرج الأحاديث، محمد خير رمضان.

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان، الشيخ عبدالعزيز الحمد السلمان.

- وقال عثمان بن عفان – رضي الله عنه: «همّ الدنيا ظلمة في القلب، وهم الآخرة نور في القلب».

- ومن خطبة عثمان بن عفان – رضي الله عنه: «إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها، إن الدنيا تفنى، وإن الآخرة تبقى، ولا تبطرنكم الفانية، ولا تشغلنكم عن الباقية، وآثروا ما بقي على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى الله. واتقوا الله، فإن تقواه جُنَّةٌ من بأسه، ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغير أي أحداث الدهر، والزموا جماعتكم، ولا تصيروا أحزاباً: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (١)

- وقال عمر بن عبدالعزيز – رضي الله عنه: «إنما الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والموت متوسط، ونحن في أضغاث أحلام، من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر العواقب نجا، ومن اعتبر بصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، ومن علم عمل. فإذا زللت فارجع. وإذا ندمت فأقلع، وإذا جهلت فاسأل، وإذا غضبت فأمسك، واعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليه».

- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «ذقت طيبات الدنيا كلها فلم

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٠٤، ١٠٥.

أجد أطيب من العافية، وذقت مرارات الدنيا كلها فلم أجد أمرَّ من الحاجة إلى الناس. ونقلت الصخر والحديد فلم أجد أثقل من الدين، واعلم بأن الدهر يومان. يوم لك ويوم عليك، فإن كان لك فلا تبطر، وإن كان عليك فاصبر، فكلاهما سينحر»[(١)]

- وقال سعيد بن المسيب – رضي الله عنه: «الدنيا نزلة وهي إلى كل نزل أميل، وأميل منها من أخذها من غير وجهها، ووضعها في غير سبيلها».

- وقال الإمام أبو حنيفة – رحمه الله: «بلغني أنه ليس في الدنيا أعز من فقيه ورع». وقال أيضاً: «لو لم تبغض الدنيا إلا لأن الله تعالى يعصى فيها لكانت تبغض». وقال أيضاً: «من أراد أن ينجو من عذاب الآخرة فلا يبال من عذاب الدنيا».

- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «الدنيا ستة أشياء: مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم: فأشرف المطعوم: العسل وهو مذاقه ذاب. وأشرف المشروب: الماء ويستوي فيه البر والفاجر، وأشرف الملبوس: الحرير وهو نسيج دودة. وأشرف المركوب: الخيل: وعليها تقتل الرجال: وأشرف المنكوح: المرأة وهي مبال في مبال. وأشرف المشموم: المسك وهو من دم الحيوان».

- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «من أخذه الله بمعصيته في الدنيا فالله أكرم من أن يأخذه بها في الآخرة».

---

(١) أي: سيزول.

- وقال الإمام مالك بن أنس – رحمه الله: «الزهد في الدنيا طيب المكسب وقصرُ الأمل ثقة بما عند الله».
- وقال الإمام الشافعي – رحمه الله: «إن الدنيا دحض أي الحجة. ومزلة ودار مذلة، عمرانها إلى الخراب صائر، وساكنها إلى القبور زائر، شملها على الفرقة موقوف، وغناها إلى الفقر مصروف الإكثار فيها إعسار، والإعسار فيها يسار، فافزع إلى الله تعالى، وارض برزق الله. ألا تستسلف من دار بقائك إلى دار فنائك، فإن عيشك فيء زائل وجدار مائل، أكثر على عملك وقصّر من أمَلِك».
- من أقوال الإمام حسن البصري – رحمه الله: «إن الدنيا دار عمل. من صحبها بالنقص لها والزهادة فيها سعد بها ونفعته صحبتها، ومن صحبها على الرغبة فيها والمحبة لها شقى بها وأجحف بحظه من الله عز وجل، ثم أسلمته إلى ما لا صبر له عليه ولا طاقة له به من عذاب الله فأمرها صغير، ومتاعها قليل، والفناء عليها مكتوب».
- وقال الإمام مالك بن دينار – رحمه الله: «خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها، قالوا: وما هو يا أبا يحيى؟ قال: معرفة الله تعالى».
- وقال الإمام مالك بن دينار – رحمه الله: «إن البدن إذا سقم لم ينجع من طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة، وكذلك القلب إذا علقه حب الدنيا لم ينجع فيه الموعظة».
- وقال الإمام مالك بن دينار – رحمه الله: «بقدر ما تحزن للدنيا كذلك يخرج هم الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة فكذلك يخرج هم الدنيا من قلبك».

- وقال الإمام أيوب السخستياتي – رحمه الله: «الزاهد في الدنيا ثلاثة أشياء: أحبها إلى الله وأعلاها عند الله وأعظمها ثواباً عند الله تعالى: الزهد في عبادة من عبد دون الله من كل ملك وصنم وحجر ووثن. ثم الزهد فيما حرّم الله تعالى من الأخذ والعطاء. ثم يقبل على الجالسين فيقول: زهدكم هذا يا معشر القراء فهو والله أخسه عند الله: الزهد في حلال الله عز وجل».
- وقال الفضيل بن عياض – رحمه الله: «ليست الدنيا دار إقامة. وإنما آدم أهبط إليها عقوبة، ألا ترى كيف يزويها عنه، ويمررها عليه بالجوع بالعري بالحاجة، كما تصنع الوالدة الشفيقة بولدها. تسقيه مرة حضضاً، ومرة صبراً، وإنما تريد بذلك ما هو خيرٌ له».
- وقال الإمام حسن البصري – رحمه الله: «إن الدنيا مخيفة، إنما أهبط آدم من الجنة إليها عقوبة، وأعلم أن صرعتها ليست كالصرعة من أكرمها بهن، ولها في كل حين قتيل، فكن فيها يا أمير المؤمنين (١) كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء خيفة طول البلاء. والسلام.
- وقال أيضاً: «الدنيا مطيتك إن ركبتها قتلتك».
- وقال رحمه الله: «الدنيا كلها غم، فما كان منها من سرور فهو ربح».
- وقال عيسى – عليه السلام: «أنا الذي كببتُ الدنيا على وجهها وجلست على ظهرها، ليس لي بيتٌ يخرب، ولا مالٌ يذهب، ولا ولدٌ يموت، ولا امرأة تحزن، سراجي القمر، وفرشي المدر، وأنا غني عن البشر».

---

(١) كتب يوماً إلى الصحابي عمر بن عبدالعزيز – رضي الله عنه.

- موعظة في الدنيا [(١)]: «اعلم أن الدنيا دار من دار له، ومالُ من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له، وعليها يعادي من لا علم له، وعليها يحسد من لا فقه له. من صح فيها سقم، ومن سلم فيها هرم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فُتن. حلالها حساب، وحرامها عقاب، ومتشابهها عتاب من ساعاها فاتته، ومن قعد عنها أتته، ومن نظر إليها أعمته، ومن بصر بها بصرته. لا خيرها يدوم، ولا شرها يبقى، ولا فيها لمخلوق بقاء. وهل الدنيا إلا ما قيل عنها: قِدرٌ تغلى، وكنيفُ يملأ؟».
- قيل للحسن البصري - رحمه الله: ما سر زهدك في الدنيا؟ فقال: «علمت بأن رزقي لن يأخذه غيري، فاطمأن قلبي له، وعلمت بأن عملي لا يقوم به غيري، فاشتغلت به، وعلمت أن الله مطلع علي فاستحيت أن أقابله على معصية وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء الله».
- وقال الإمام حسن البصري: «المؤمن في الدنيا كالأسير، يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عز وجل». وقال: «ابن آدم: إنك تغدو أو تروح في طلب الأرباح، فليكن همك نفسك، فإنك لن تربح مثلها أبداً».
- وقال الإمام حسن البصري: « فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لبٍّ فيها فرحاً. رحم الله رجلاً لم يغره ما يرى من كثرة الناس - أي حوله

---

(١) سفينة الفرج فيما هب ودب ودرج، صنفه الشيخ محمد سعيد بن قاسم الدمشقي، هذبه واعتنى به، محمد خير رمضان يوسف، ص١٣٦، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، دار البشائر الإسلامية - بيروت.

– يا بن آدم تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك، وما أكثر عبدٌ ذكر الموت إلا رؤي ذلك في عمله، ولا أطال عبدٌ الأمل إلا أساء العمل».

– فقال أحدهم: «خرجنا إلى الدنيا كارهين، وأقمنا فيها غافلين، وفارقناها كارهين».

– وقال الإمام حسن البصري: «أيسر الناس حساباً يوم القيامة الذين يحاسبون أنفسهم في الدنيا، فوقفوا عند هومهم وأعمالهم، فإن كان الذي هموا به لهم مضوا، وإن كان عليهم أمسكوا. وقال: إنما يثقل الأمر يوم القيامة على الذين جازفوا الأمور في الدنيا أخذوها من غير محاسبة، فوجدوا الله عز وجل قد أحصى عليهم مثاقيل الذرِّ وقرأ: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ (١)

– وقال الإمام سفيان الثوري – رحمه الله: «الزهد في الدنيا: قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا بلبس العباءة» (٢)

– وقال الإمام سفيان الثوري: «الدنيا دار التواء لا دار استواء ومنزل ترح لا منزل فرح، من عرفها لم يفرح برخائها، ولم يحزن بشقائها».

– وقال – رحمه الله: «إذا زهد العبد في الدنيا .. أنبت الله الحكمة في قلبه، وأطلق بها لسانه، وبصّره بعيوب الدنيا ودائها ودوائها».

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٢) نفائس الكلام من أفواه السلف الكرام، مصطفى حقي، دار الشريف للنشر، الرياض: ١٤٢٤هـ.

- وقال الإمام سفيان بن عيينة: «رأس التواضع أن تضع عند من دونك في نعمة لدنيا حق تعلّمهُ أنه ليس لك بدنياك عليه فضل. وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل».

- وقال الإمام الطائي – رحمه الله: «لا تمهر الدنيا دينك فمن أمهرها دينه زفت إليه الندم».

- وقال الإمام ابن السماك (محمد صبيّح) رحمه الله: «الدنيا كلها قليل، والذي بقي منها قليل، والذي لك من الباقي قليل، ولم يبق من قليل إلا قليل، وقد أصبحت في دار العزاء، وغداً تصير إلى دار الجزاء. فاشتر نفسك لعلك تنجو».

- وقال سلمان الفارسي – رضي الله عنه: «عجباً لمؤمّل الدنيا والموت يطلبه، وغافل ليس بمغفول عنه، وضاحك لا يدري أربّه راضٍ عنه أم ساخط».

- وقال الإمام جعفر الصادق – رضي الله عنه: «إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعطته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه».

- وقال عامر بن عبدالله بن قيس – رحمه الله: «لو أن الدنيا كانت لي بحذافيرها، ثم أمرني الله تعالى بإخراجها كلها، لأخرجتها بطيب نفس».

- وقال أبو حازم – رحمه الله: «رأيت الدنيا شيئين: لي ولغيري: فما كان لغيري فلا سبيل إليه، وما كان لي فلو جهدت لم أقدر عليه قبل

وقته. ففيمَ أتعب نفسي»؟

- وقال الإمام شقيق البلخي – رحمه الله: «من دار حول العُلوِّ في الدنيا، فإنما يدور حول النار في الآخرة، ومن دار حول الشهوات في الدنيا، فإنما يدور حول درجاته في الآخرة، حتى لا تبقى له درجة» (١)

- وقال الإمام أبو سليمان الداراني – رحمه الله: «من ترك الدنيا للآخرة ربحهما، ومن ترك الآخرة للدنيا خسرهما، وكل أم يتبعها بنوها».

- وقال – رحمه الله: «إذا جاءت الدنيا إلى القلب ترحلت منه إلى الآخرة، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تجيء الآخرة تزحمها؛ لأن الدنيا لئيمة والآخرة عزيزة».

- وقال الإمام أبو يزيد البسطامي – رحمه الله: «من اختار الدنيا على الآخرة غلب جهله علمه، وفضوله ذكره ومعصيته طاعته، ومن اختار الآخرة على الدنيا غلب علمه جهله، وسكوته كلامه، وفقره غناه، وهمه سروره».

- وقال الإمام أبو سليمان الداراني: «أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله تعالى».

- وقال – رحمه الله: «لو أن الدنيا كلها لي في لقمة، ثم جاءني أخ لأحببت أن أضعها في فيه» (٢)

---

(١) نفائس الكلام من أفواه السلف الكرام، دار الشريف، الرياض.

(٢) مصدر سابق.

- وقال – رحمه الله: «إن الله ليعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، وإن الجوع عنده من خزائن مدخرة، فلا يعطي إلا من أحب خاصة؛ ولأن أدع من عشائي لقمة أحب إليّ من أن آكلها، ثم أقوم من أول الليل إلى آخره».

- وقال الإمام يحيى بن معاذ – رحمه الله: «الدنيا خمر الشيطان من سكر فيها لا يفيق إلا في عسكر الموتى».

- وقال – رحمه الله: «الدنيا لا قدر لها عند ربها وهي له. فما ينبغي أن يكون قدرها عندك وهي ليست لك».

- وقال الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «الركون إلى الدنيا مع ما تعاين منها جهل. والتقصير في حسن العمل إذا وثقت بالثواب عليه غبن والطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار عجز».

- وقال الإمام يحيى بن معاذ – رحمه الله: «جمع الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوي غم ساعة. فكيف تغم عمرك فيها مع قليل يصيبك منها»؟

- وقال – رحمه الله: «الدنيا أمير من طلبها، وخادم من تركها، الدنيا طالبة ومطلوبة، فمن طلبها رفضته، ومن رفضها طلبته، الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها، ليس من العقل بنيان القصور على الجسور، الدنيا عروس وطالبها ما شكتها [(١)]، وبالزهد ينتف شعرها، ويسود وجهها، وتُمزق ثيابها، ومن طلق الدنيا بالآخرة زوجته، فالدنيا

(١) أي: يدفعها.

مطلقة الأكياس [1] لا تنقضي عدتها أبداً، فخل الدنيا ولا تذكرها، واذكر الآخرة ولا تنسها، وخذ من الدنيا ما يبلغك الآخرة، ولا تأخذ من الدنيا ما يمنعك الآخرة».

- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «ترك الدنيا شديد، وترك الجنة أشد منه، وإن مهر الجنة ترك الدنيا».

- وقال – رضي الله عنه: «الدنيا حانوت الشيطان، فلا تسرف من حانوته شيئاً فيجيء في طلبه فيأخذك».

- وقال: «الزاهدون غرباء الدنيا، والعارفون غرباء الآخرة».

- وقال أيضاً: – رضي الله عنه: «من أحب رفعة الدنيا والآخرة عليه بالتقوى، ومن أحب زينة الدنيا والآخرة فلينظر في العلم، ومن أحب أن يعرف الزهد فلينظر في الحكمة، ومن أحب أن يستوثق من أسباب المعايش فليستكثر من الإخوان».

- وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله: «الدنيا جيفة والأسد لا يقع على الجيف».

- وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله: «شهوات الدنيا كلعب الخيال، ونظر الجاهل يصورها على الظاهر، فأما ذو العقل فيرى ما وراء الستر».

- وقال – رحمه الله: «الدنيا كامرأة بغي لا تثبت مع زوج، إنما تصاحب

---

(١) أي: العاقل أو العقلاء.

الأزواج ليستحسنوا عليها، فلا ترضى إلا بالدياثة».

- من أقوال المعتمد بن عباد – رحمه الله: «الدنيا سراب: أولها رجاء من سراب، وآخرها رداء من تراب».

- وقال مصطفى السباعي – رحمه الله: «من تعلق قلبه بالدنيا، لم يجد لذة الخلوة بالله تعالى، ومن تعلق قلبه باللهو، لم يجد لذة الأنس بكلام الله تعالى، ومن تعلق قلبه بالجاه، لم يجد لذة التواضع بين يدي الله تعالى. ومن كثرت منه الآمال، لم يجد في نفسه شوقاً إلى الجنة».

- وقال أحد التابعين – رحمه الله: «ستة أشياء تعدل الدنيا: الطعام المريء، والسيد الرؤوف، والولد البرّ، والزوجة الموافقة، والكلام المحكم، وكمال العقل».

- وقال أحدهم: «الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفُك؛ لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه، وما لم يأتك لا علم لك به».

- وقال آخر: «من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر فإنها رياض الجنة».

- وقال آخر: «الدنيا خراب، وأخرب منها قلب من يعمرها. والآخرة دار عمران، وأعمر منها قلب من يطلبها».

- وقال أحد التابعين: «ما مضى من الدنيا أحلام، وما بقي منها أماني، والوقت ضائع بينهما».

- وقال أحد التابعين – رحمه الله: «أيامك خمسة: يوم مفقود: وهو أمس الذي مضى بما فرطت فيه، ويوم مشهود: وهو يومك الذي أنت فيه فلا

تضيعه. ويوم مولود: وهو غدك ولا تدري ما الله قاضٍ فيه. ويوم موعود: وهو آخر يوم لك في الدنيا فاعمل له ما يسرك. ويوم محدود: وهو يوم المهاد وهو يوم الخلود فماذا أنت مترقب فيه».

- وقال أحدهم - رحمه الله: «ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألزق به شيء يسوؤك، إن العبد ليعمل الحسنة تسره وما سيئة أضر له منها، وأن العبد ليعمل سيئة تسؤه وما حسنة أنفع له منها: يعمل الحسنة تسره فيرى له فضلاً على غيره ولعل الله أن يحبطها معها كثيراً، ويعمل السيئة تسؤه لعل الله أن يحدث له بها وجلا».

- وقال بزر جمهر: «من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحداً ما يستحق، إما زادته وإما أنقصته».

- وقال الحسن بن علي - رضي الله عنهما: «لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث: أنه لم يشبع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحسن الزاد لما قدم».

- وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه: «إنما الدنيا أمل مخترم، وأجل منتقص، وبلاغ إلى دار غيرها، وسير إلى الموت، ليس فيه تعريج، فرحم الله امرأً فكر في أمره، ونصح نفسه، وراقب ربه، واستقال ذنبه».

- وقال لقمان الحكيم: «الدنيا بحر عريض قد هلك فيه الأولون والآخرون، فإن استطعت فاجعل سفينتك تقوى الله، وعدتك التوكل على الله، وزادك العمل الصالح، فإن نجوت فبرحمة الله، وإن هلكت فبذنوبك».

- وقال أحدهم: «إن الحزن على الدنيا طويل، والموت من الإنسان قريب، وللنقص في كل يوم منه نصيب، وللبلاء في جسمه دبيب، فبادر قبل أن تنادي بالرحيل».

- وقال الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل».

- وقال أحدهم: «لا يكن عزك بالدينار ولا بالمال، بل بالله سبحانه وبرسوله والمؤمنين».

- وقال وهب بن منبه – رحمه الله: «مثل الدنيا والآخرة مثل ضرين إذا أرضيت إحداهما سخطت الأخرى».

- وقال أحدهم: «إن الدنيا وما فيها بكل بهارجها وزخارفها، لا تساوي ذرة من المقام الذي أعد لعباد الله الصالحين».

- وقال أحدهم: «إن هذه الدنيا بكل مظاهرها الساحرة، أحقر من أن تستحق المحبة».

- قيل للإمام حسن البصري – رحمه الله: كيف ترى الدنيا؟ قال: «شغلني توقع بلائها عن الفرح برضائها».

- وقال حسن البصري: «يا ابن آدم إنما أنت أيام! كلما ذهب يوم ذهب بعضك فكيف البقاء».

- وقال أيضا: «يا قوم إن الدنيا دار عمل من صحبها بالنقص لها

والزهادة فيها سعد بها ونفعته صحبتها. ومن صحبها على الرغبة فيها والمحبة لها شقي بها. ولكن أين القلوب التي تفقه؟ والعيون التي تبصر؟ والآذان التي تسمع»؟

- وقال يونس بن عبدالأعلى: «ما شبهت الدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يحب وما يكره، فبينما هو كذلك انتبه».

- ويروى أن عيسى ابن مريم – عليه السلام – رأى الدنيا في صورة عجوز عليها من كل زينة، فقال: كم تزوجت؟ قالت: لا أحصيهم، قال: فكلهم مات عنك، أو كلهم طلقك؟ قالت: بل كلهم قتلتهم، فقال عيسى: بؤساً لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين، تهلكينهم واحداً واحداً ولا يكونون منك على حذر»!!

- وقال يحيى بن معاذ الرازي: «كيف لا أحب دنيا قدر لي فيها قوت اكتسب به حياة، أدرك بها طاعة، أنال بها الآخرة».

- وقال الحسن البصري – رحمه الله: «ليس من حبك للدنيا طلب ما يصلحك فيها، ومن زهدك فيها ترك الحاجة يسدها عنك تركها، ومن أحب الدنيا وسرته، ذهب خوف الآخرة من قلبه».

- وقال سعيد بن جبير – رضي الله عنه: «متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة، وما لم يلهك، فليس بمتاع الغرور، ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه».

- وقال بعض الحكماء: «الدنيا أمثال تضربها الأيام للأنام، وعلم الزمان لا يحتاج إلى ترجمان، وبحب الدنيا صمت أسماع القلوب عن المواعظ،

وما أحث السائق لو شعر الخلائق».

- وقال عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما: «لا يصيب عبد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله، وإن كان عليه كريماً».

- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها، ولا ينال ما عنده إلا بتركها».

- وقال الشبلي: «من ركن إلى الدنيا أحرقته بنارها، فصار رماداً تذروه الرياح، ومن ركن إلى الآخرة أحرقته بنورها بنور التوحيد، فصار جوهراً لا قيمة له».

- وقال الحسن البصري – رحمه الله: «نعمت الدار كانت الدنيا للمؤمن، وذلك أنه عمل قليلاً، وأخذ زاده منها إلى الجنة، وبئست الدار كانت للكافر والمنافق، وذلك أنه ضيع لياليه، وكان زاده منها إلى النار».

- وقال عون بن عبدالله: «الدنيا والآخرة في القلب ككفتي الميزان بقدر ما ترجح إحداهما تخف الأخرى».

- وقال بعض الحكماء: «كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، وكيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله، وتقوده حياته إلى موته، إذاً سبيلك في الدنيا سبيل مسافر. ولا بد للإنسان من حمل عدة، ولا سيما إن خاف صولة قاهر».

- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «خذ من الدنيا ما أتاك وتولّ عما تولى عنك، فإن أنت لم تفعل فأجمل في الطلب».

- وقال الحسن البصري – رحمه الله: «المؤمن في الدنيا كالأسير،

يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عز وجل».

- كتب الأوزاعي إلى أخ له: «أما بعد، فقط أحيط بك من كل جانب. واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة، فاحذر الله والمقام بين يديه، وليكن آخر عهدك به، والسلام».

- وكتب بعض الحكماء إلى أخ له كان حريصاً على الدنيا: «أما بعد فإنك أصبحت حريصاً على الدنيا تخدمها وهي تخرجك عن نفسها بالأعراض والأمراض والآفات والعلل، وكأنك لم تر حريصاً محروماً وزاهداً مرزوقاً، ولا ميتاً عن كثير، ولا متبلغاً من الدنيا باليسير».

- وقال بعضهم: «الدنيا دار تغرير وخداع، وملتقى ساعة لوداع، والناس متصرفون بين ورد وصدر، وصائرون خبراً بعد أثر، فأوبة كل متحرك سكون، ونهاية كل متكون أن لا يكون، وآخر الأحياء فناء، والجزع على الأموات عناء، وإذا كان ذلك فلم التهالك على هالك. واعلم أن الدنيا تطلب لثلاثة أشياء: للغنى والعز والراحة، فمن زهد فيها عز، ومن قنع استغنى، ومن قل سعيه استراح».

- وقال الحسن: «لم يزل الليل والنهار سريعين في نقص الأعمال، وتقريب الآجال».

- وصف أحدهم الدنيا بما يلي: «إذا حلت أو حلت وإذا كست أو كست .. وإذا جلت أو جلت .. وإذا أينعت نعت .. وإذا أوجفت جفت .. وكم من قبور تبنى ما تبنا .. وكم من مريض عدنا وما عدنا، وكم من ملك رفعت له علامات فلما علا .. مات».

- وقال أحدهم: «من ازداد على الدنيا حرصاً، ازداد من الله بُعداً».

- وقال سيدنا نوح – عليه السلام: «رأيت الدنيا كدار لها بابان، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر» وقد عمّر ٩٥٠ سنة.

- وقال الحكيم اليوناني أبقراط: «أمهات لذات الدنيا أربع: لذة الطعام، ولذة الشراب، ولذة الجماع، ولذة السماع، فاللذات الثلاث لا يتوصل إليها ولا إلى شيء منها إلا بتعب ومشقة ولها مضار إذا استكثر منها، ولذة السماع قلت أو كثرت صافية من التعب، خالصة من النصب».

- كما قال أبو العتاهية:

هي الدارُ دار الأذى والقذى ... ودار الفناء ودار الغير
ولو نلتها بحذافيرها ... لُمتَّ ولم تقض منها وطر
أيا من يؤمل طول الحياة ... وطول الحياة عليه ضرر
إذا ما كبرت وبان الشباب ... فلا خير في العيش بعد الكبر

- وقال عيسى – عليه السلام:: «أوحى الله إلى الدنيا: من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه، يا دنيا تمرري على أوليائي، ولا تحلو لي لهم فتغتنيهم».

- وروي أن داود – عليه السلام – بينما هو يسيحُ في الجبال، إذ وافى على الغار، فإذا فيه رجل عظيم الخلق من بني آدم، وإذا عند رأسه حجر مكتوبٌ بكتاب، محفور فيه: (أنا رستم الملك، ملكت ألف عام، وفتحت ألف مدينة، وهزمت ألف جيش، وافتزعت ألف بكر من بنات الملوك، ثم صرت إلى ما ترى، فصار التراب فراشي، والحجارة

وسادي، فمن رآني فلا تغره الدنيا كما غرتني).

- وقال أحدهم: «يا هذا إنما خلقت الدنيا لتجوزها لا لتحورها، ولتعبرها لا لتعمرها، فاقتل هواك المائل إليها، واقبل نصحي لا تعول عليها».

- وقال لقمان الحكيم: «خذ من الدنيا بلاغك، وأنفق فضول كسبك تقدمه لآخرتك، ولا ترفضها كل الرفض فتكون على الناس عيالاً، وعلى أعناق الرجال كلاً».

- دخل المزني على الإمام الشافعي في مرضه الذي توفي فيه. فقال له: كيف أصبحت يا أبا عبدالله؟ فقال الشافعي: «أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً ولسوء عملي ملاقياً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله وارداً، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها، ثم أنشأ يقول:

وكما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منةً وتكرما

- وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله: «إذا حملت على القلب هموم الدنيا وأثقالها، وتهاونت بأوراده التي قوته وحياته، كنت كالمسافر الذي يحمل دابته فوق طاقتها ولا علفها فما أسرع ما تقف به»

- وقال أحدهم: «إذا بلغ المرء من الدنيا فوق مقداره، تنكرت أخلاقه للناس».

- ومن أقوال الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «مثل الدنيا

كمثل الحية لين مسّها والسم الناقع في جوفها يهوي إليها الغر الجاهل، ويحذرها ذو اللب العاقل».

- وقد سمع رجلاً يذم الدنيا: أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها، المخدوع بأباطيلها ثم تذمها. اتغتر بالدنيا ثم تذمها: أنت المتجرم عليها [١] أم هي المتجرمة عليك؟ متى استهوتك [٢] أم متى غرتك؟ أبمصارع آبائك من البلى [٣] أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟ كم عللت بكفيك، وكم مرضت بيديك. تبغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطباء لم ينفع أحدهم إشفاقك».

- «إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها».

- «الدنيا دار ممر إلى دار مقر، والناس فيها رجلان: رجل باع فيها نفسه فأوبقها [٤]، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها».

- مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة».

- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله وإن أسأت استغفرت الله، ولا

---

(١) تجرم عليه: ادّعى عليه الجرم بالضم أي الذنب.

(٢) استهواه: ذهب بعقله وأذله فحيره.

(٣) الفناء بالتحلل.

(٤) باع نفسه لهواه وشهواته فأوبقها أي أهلكها.

خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنباً فهو يتدارك لذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عمل في تقوى، وكيف يقل ما يتقبل»[(١)]؟

- وقال أحدهم: «الدنيا لا تصفو لشارب، ولا تخلو لصاحب. إن أقبلت فهي فتنة، وإن أدبرت فهي محنة. فأعرض عنها قبل أن تعرض عنك، واستبدل بها قبل أن تستبدل بك، أحوالها لا تزال تنتقل وأطوارها لا تبرح تتبدل».
- وقيل: «إن هذه الدنيا بكل مظاهرها الساحرة، أحقر من أن تستحق المحبة».
- وقد قال أحد السلف: «مساكين أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا، وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله. والأنس به، والشوق إلى لقائه، والإقبال عليه والإعراض عما سواه».
- وقال أحدهم: «الناس في الدنيا معذبون على قدر هممهم».
- وقيل: «الدنيا محطات للدموع .. أجمل ما فيها اللقاء .. وأصعب ما فيها الفراق».
- وقيل أيضاً: «الدنيا كلها لا تسع متباغضين، وشبراً بشبر يتسع متحابين».
- وقال ابن القيم – رحمه الله: «الدنيا لا تساوي نقل أقدامك إليها فكيف تعدو خلفها»؟!

---

(١) حلية الأولياء: ١/ ٧٩ – ٨٠.

- وقال – رحمه الله: «الدنيا مجاز، والآخرة وطن، والأوطار [١] إنما تطلب في الأوطان».

- أوصى أبو بكر بلالاً حين توجه للجهاد فقال – رضي الله عنه – له: «اعمل صالحاً، وليكن زادك من الدنيا ما يذكرك الله ما حييت ويحسن لك به الثواب، إذا توفيت» [٢]

- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «عباد الله، أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبوا تركها، والمبلية لأجسامكم وإن كنتم تحبون تجديدها، فإنما مثلكم ومثلها كسفرٍ سلكوا سبيلاً فكأنهم قد قطعوه، وأمُّوا عَلَماً فكأنهم قد بلغوه».

- وقال أبو ذر الغفاري – رضي الله عنه: «اجعل الدنيا درهمين، درهماً أنفقته على عيالك، ودرهماً قدمته لآخرتك، والثالث يضر ولا ينفع فلا ترده».

- وقال أيضاً – رضي الله عنه: «اجعل الدنيا كلمتين: كلمة في طلب الحلال، وكلمة الآخرة. والثالثة تضر ولا تنفع لا تردها، ثم قال: قتلني همٌّ يوم لا أدركه».

- ومن مواعظ لقمان الحكيم: «لا تأس على ما فاتك من الدنيا. فإن قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه، وكثيرها لا يؤمن بلاؤه، فخذ حذرك، وجد في أمرك، واكشف الغطاء عن وجهك، وتعرض لمعروف ربك، وجدد التوبة،

---

(١) الوطر: الحاجة والجمع أوطار (المختار) ويقال: قضيت وطري من كذا.

(٢) عظماؤنا في التاريخ/ د. مصطفى السباعي، ص٨٣٤

في قلبك، واكمش في فراغك قبل أن يُقصد قصدك ويُقضى قضاؤك ويُحال بينك وبين ما تريد».

- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «اعلموا أنه ليس لهذا الجلد الرقيق صبرٌ على النار، فارحموا نفوسكم، فإنكم قد جربتموها في مصائب الدنيا».

- وعن علي بن الحسين – رضي الله عنهما – قال: «كلّا، ما تعب أولياء الله في الدنيا للدنيا، بل تعبوا في الدنيا للآخرة، ألا ومن اهتم لرزقه كتب عليه خطيئة كذلك».

- وعن الحسن بن علي – رضي الله عنهما – قال: «أنزل الدنيا بمنزلة الميتة خذ منها ما يكفيك، فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر، فأخذت كما أخذت من الميتة، وإن كان العتاب فإن العتاب يسير، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنما تموت غداً، وإذا أردت عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عز وجل».

- وروي أن الحسين بن علي – رضي الله عنهما – نظر إلى القبور فقال: «ما أحسن ظواهرها، وإنما الدواهي في بواطنها، فالله، الله، عباد الله، لا تشتغلوا بالدنيا، فإن القبر بيت العمل، فاعملوا ولا تغفلوا ثم أنشد قائلاً:

يا من بدنياه اشتغل وغره طول الأمل
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

- وعنه – رضي الله عنه: «فبادروا بصحة الأجسام في مدة الأعمال، كأنكم ببخات طوارقه فتنقلكم من ظهر الأرض إلى بطنها، ومن علوّها

إلى أسفلها، ومن أُنسها إلى وحشتها، ومن روحها وضوئها إلى ظلمتها، ومن سعتها إلى ضيقها، حيث لا يُزار حميم، ولا يُعاد سقيم، ولا يجاب صريخ».

- وقال أحدهم: «الدنيا طوّاحة، طرّاحة، فضّاحة، أسيّة، جرّاحة».

أنواع لذات الدنيا [(١)]:

ولذات الدنيا ثلاثة أنواع:

١- فأعظمها وأكملها: ما أوصل إلى لذة الآخرة، ويثاب الإنسان على هذه اللذة أتم ثواب. ولهذا كان المؤمن يثاب على ما يقصد به وجه الله من أكله، فكيف بلذة إيمانه ومعرفته بالله ومحبته له وشوقه إلى لقائه وطمعه في رؤية وجهه الكريم في جنات النعيم؟!

٢- النوع الثاني: لذة تمنع لذة الآخرة وتعقب آلاماً أعظم منها: كلذة الذين اتخذوا من دون الله أوثاناً مودة بينهم في الحياة الدنيا، يحبونهم كحب الله، ويستمتع بعضهم ببعض، فإنهم يقولون في الآخرة إذا لقوا ربهم: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [(٢)]. ولذة

---

(١) المنتقى الشافي من الجواب الكافي/ محمد بن عبدالله الهبدان. ص٦١، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، دار بلنسية - الرياض.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٢٨، ١٢٩.

أصحاب الفواحش والظلم والبغض في الأرض والعلو بغير الحق.

وهذه اللذات في الحقيقة إنما هي استدراج من الله لهم، ليذيقهم بها أعظم الآلام، ويحرمهم بها أكمل اللذات، بمنزلة من قدم لغيرها طعاماً لذيذاً مسموماً يستدرجه به إلى هلاكه.

قال تعالى: ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (١)

قال بعض السلف في تفسيرها: كما أحدثوا ذنباً، أحدثنا لهم نعمة:﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (٢)

وقال الله تعالى لأصحاب هذه اللذة: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٣)

وقال في حقهم: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٤)

وهذه اللذة تنقلب آلاماً من أعظم آلام، كما قيل:

مآرب كانت في الحياة لأهلها عذاباً فصارت في المعاد عذابا

٣- أما النوع الثالث من لذات الدنيا:

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٨٢، ١٨٣.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٤، ٤٥.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥٥، ٥٦.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٥٥.

لذة لا تعقب لذة في دار القرار ولا ألماً يمنع وصول لذة دار القرار، وإن منعت كما لها.

وهذه اللذة المباحة التي لا يُستعان بها على لذة الآخرة، فهذه زمانها يسير، وليس لتمتع النفس بها قدر، ولا بد أن تشغل العبد عما هو خير له وأنفع منها. وهذا القسم هو الذي عناه النبي ﷺ بقوله: **«كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل، إلا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته امرأته، فإنهن من الحق»** (١)

فما أعان على اللذة المطلوبة لذاتها فهو حق، وما لم يعن عليها فهو باطل.

- أخي القارئ .. أختي القارئة إليكم هذه الموعظة وهذه الحكاية.
- أما الموعظة: يا من يعظه الدهر ولا يقبل، وينذره القهر ثم يرحل، ويضم العيب إلى الشيب وبئس ما يفعل، كذا كيف شئت فإنما تجازي بما تعمل، فبادروا وقبل أن يفوت الغرض بالمرض إن عرض. فكأنكم بمبسوط الأمل وقد انقبض، وبمشيد المنى وقد وهى وانتفض.
- أما الحكاية:

يروى أن عيسى – عليه السلام – مرّ في نفر من أصحابه، بجمجمة نخرة هائلة. فقال له أصحابه: يا روح الله لو دعوت الله تعالى أن ينطق لنا هذه الجمجمة حتى تخبرنا بما رأته من العجائب لرجونا أن ينتفع بذلك، قال: فصلى عيسى – عليه السلام – ركعتين ودعا الله تعالى فأنطقها الله عز وجل. فقالت الجمجمة: يا روح الله سل عما تريد فقد أمرني الله تعالى أن أخبرك بما سألت

---

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وأحمد من حديث عقبة بن عامر الجهني – رضي الله عنه – قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

عنه. فقال عيسى: من كنت في هذه الدنيا؟ فقالت الجمجمة: يا روح الله كنت ملك هذه الأرض، عشت فيها ألف سنة، وولدت ألف ولد، وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش، وقتلت ألف ملك جبار، ثم كان بعد ذلك الموت، ولقد امتحنت هذا الدهر فلم أر شيئاً أنفع من الزهد في الدنيا، ولم أر هلاك كل أحد إلا في الحرص والطمع، ولم أجد العز إلا في الرضا بما قسم الله عز وجل.

أخي القارئ - إن المؤمن يأخذ من الدنيا ما يعينه على الوفاء بعهده مع الله فيها، والوفاء بالأمانة والعبادة والخلافة والعمارة عمارة الأرض بحضارة الإيمان.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾.



أشعار عن الدنيا

قال أعرابي لأهل البصرة: من سيد أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن، قال: بم سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم. وما أحسن قول بعض السلف في وصف الدنيا وأهلها:

وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجنبتها كنت سلماً لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها

- وقال الشاعر مسلم بن الوليد: بعنوان: «تركوا الدنيا»:

كم رأينا من أناس هلكوا وبكى أحبابهم ثم بكوا
تركوا الدنيا لمن بعدهم ودهم لو قدموا ما تركوا
كم رأينا من ملوك سوقة ورأينا سوقة قد ملكوا
قلب الدهر عليهم فلكا فاستداروا حيث دار الفلك

- وقال الفقيه الباجي:

تبلغ من الدنيا بأيسر زاد فإنك عنها راحل لمعاد
وغض عن الدنيا وزخرف أهلها جفوتك وأكحلها بطيب سهاد
وجاهد عن اللذات نفسك جاهد فإن جهاد النفس خير جهاد
وما هي إلا دار لهو وفتنة وإن قصارى أهلها لنفاد

- وقال سلطان الزاهدين – أبو العتاهية – رحمه الله:

أرى الدنيا لمن هي في يديه عذاباً كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه

• وقال أحد الشعراء:

دنــياك ســاعات ســراعُ الــزوال وإنمــا العقــبى خلــودُ المــآل
فهــل تبــيع الخلــد يــا غــافلاً وتشــتري دنــيا المــنى والضــلال
عــش راضــياً وانــزل دواعــي الألم واعــدل مــع الظــالم مهمــا ظــلم
نهايــة الدنــيا فــناءٌ فعــش فــيها كــريماً واعتــبرها عــدم

• وقال آخر:

يــا خاطــب الدنــيا إلى نفســها تــنحَّ عــن خطبــتها تســلم
إن الــتي تخطــب غــدّارةٌ قريــبة العــرس مــن المــأتمِ

وقال آخر:

هــي الدنــيا إذا كملــت وتمَّ ســرورها خذلــت
وتفعــل في الذيــن بقــوا كمــا فــيمن مضــى فعلــت

• وقال آخر [(١)]:

تــأمل في ريــاض الأرض وانظــر إلى آثــار مــا فعــل المليــكُ
عــيونٌ مــن لجــينٍ شاخصــاتٌ بــأحداقٍ كمــا الذهــب السبيكُ
عــلى قطــب الزبــرجد شــاهدات بــأن الله لــيس لــه شــريك
وأن محمــداً عــبدٌ رســول إلى الــثقلين أرســله المليــكُ

• وقال آخر:

إن لله عــباداً فُطــنا طلقــوا الدنــيا وخــافوا الفِتَــنا

---

(١) من كتاب دليل السائلين، ص٢٦٦، ط١، أنس إسماعيل أبو داود، جدة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحيٍّ سكنا
جعلوها لجّةً واتخذوا صالح الأعمال فيها سُفُنا

- وقال آخر:

الدنيا ساعة فاجعلها طاعة
والنفسُ طماعة عودها القناعة

والحمد لله رب العالمين



أقوال عن الحياء

الحياء ..!

الحياء في اللغة:

الحياء من الحياة واستحيا الرجل من قوة الحياة فيه لشدة علمه بمواقع الغيب، فالحياة من قوة الحسب ولطفه وقوة الحياة وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلف الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح، والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به، وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب والترك إنما هو من لوازمه. والحياء ضد الوقاحة. والحياء هو الاحتشام: «أي أن تسلك في الحياة مسلكاً محموداً وسطاً».

أما الحياء في الاصطلاح الشرعي[1]:

هو انقباض النفوس عن إتيان أمر مخافة الذم. وخلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. ويكون الحياء في ثلاثة أوجه:

١- الحياء من الله تعالى: عند الاهتمام بمباشرة ما خطر على الإنسان، ويكون بامتثال أوامره جل وعلا، والكف عن زواجره.

٢- الحياء من الناس: فيكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح. وهذا النوع من الحياء يكون من كمال المروءة وحب الثناء.

٣- حياء الإنسان من نفسه: ويكون بالعفة وصيانة الخلوات.

والحياء مانع طبيعيٌّ من إظهار القبائح، وهو ممدوح في الشرع، ولهذا قال

---

(١) دليل السائلين، أنس إسماعيل أبو داود، ص٢٢٢، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الناشر نفسه – جدة.

النبي ﷺ: «**لا إيمان لمن لا حياء له**»[(١)]

وعلى المسلم التحلي بهذه الفضيلة إذ هي الدين كله. وهي من شعب الإيمان ومن خلق الإسلام: «**إن لكل دين خلقاً، وإن خلق الإسلام الحياء**»[(٢)]

وهي مفتاح كل خير فبقوتها يكثر الخير، ويضعف ارتكاب الشر وبضعفها يضعف الخير، ويكثر اقتراف الشر، إذ الحياء هو الحائل بين المرء والمنهيات»[(٣)]

الحياء من البيان الإلهي:

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[(٤)]
- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[(٥)]
- وفي الأثر الإلهي: يقول الله عز وجل: ابن آدم! إنك ما استحييت مني، أنسيت عيوبك، فأنسيتُ بقاع الأرض ذنوبك، ومحوت من أم الكتاب زلاتك، وإلا ناقشتك الحساب يوم القيامة»[(٦)]

---

(١) الأربعون حديثاً في الأخلاق، د. أحمد معاذ حقي، ص٤٠، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. دار طويق – الرياض.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه.

(٣) تهذيب خالصة الحقائق، محمود بن أحمد القادياني، هذبه واعتنى به: محمد خير رمضان يوسف، ص٢٧٥، ط١ دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

(٦) مدارج السالكين، ٢/ ٢٤٩.

الحياء من البيان النبوي:

- عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**الايمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الايمان**» (١)
- وعن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ ذات يوم: «**استحيوا من الله حق الحياء**» فقالوا إنا لنستحي من الله والحمد لله. قال: «**ليس ذلك، ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى. ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**» (٢)
- وعن عمران بن حصين – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**» (٣)
- وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ مرّ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: «**دعه فإن الحياء من الايمان**» (٤)

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

- وروي الطبراني عن أبي أمامة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء والعيُّ من الايمان، وهما يقربان من الجنة ويباعدان من النار والفحش والبذاء من الشيطان، وهما يقربان من النار، ويباعدان من الجنة**» فقال أعرابي لأبي أمامة: إنا لنقول في الشعر العيُّ من الحمق. فقال: إني أقول: قال رسول الله ﷺ وتجيئني بشعرك المُنتّن» (١)

- وروى البيهقي بإسناد حسن عن يزيد بن طلحة بن ركانة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل دين خُلُقٌ، وخُلُقُ الإسلام الحياء**».

- وروى الطبراني في الصغير والأوسط ورواته محتج بهم في الصحيح عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة لو كان الحياء رجلاً كان رجلاً صالحاً، ولو كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء**» (٢)

- وروى عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**لا ينظر الرجل إلى عرية الرجل ولا المرأة إلى عُرية المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب**» (٣)

- وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه» (٤)

---

(١) الترغيب والترهيب: ٣/ ٣٩٨.

(٢) الترغيب والترهيب: ٣/ ٣٩٩.

(٣) سنن أبي داود: ٤/ ٤١.

(٤) صحيح البخاري ومسلم.

- وقال النبي ﷺ: «**إن الله عز وجل حييٌّ ستيرٌ يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**» (١)
- وقال – عليه الصلاة والسلام: «**أربع من سنن المرسلين: التعطُّر، والنكاح، والسواك، والحياء**» (٢)
- وقال النبي ﷺ: «**أوّل ما يُرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة، فسلوهما الله تعالى**» (٣)
- وقال – عليه الصلاة والسلام: «**الايمان عريان ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وثمرته العلم، ورأس ماله العفو**» (٤)



---

(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا.

(٤) أخرجه الحاكم.

من أقوال السلف عن الحياء

- قيل: أوحى الله إلى سيدنا داود – عليه السلام – يا داود: إني لأنظر إلى الشيخ في كل يوم صباحاً ومساءً، وأقول له: يا عبدي! كُبر سنك، ورق جلدك، ودق عظمك، وحان قدومك عليّ، فاستح مني فإني استحي منك»[(١)]

- وعن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – أنه قال في خطبته: «يا معشر المسلمين، استحيوا من الله، فوالذي نفسي بيده إني لأظل حين آتي الغائط في الفضاء منقنعاً بثوبي استحياءً من ربي».

- وقال سيدنا عيسى – عليه الصلاة والسلام – : «إياكم والنظرة، فإنها تزرع الشهوة في القلب، وكفى بها فتنة لصاحبها»[(٢)]

- وقالت سيدتنا عائشة – رضي الله عنها: «رحم الله نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن». وقالت – رضي الله عنها: «رأس مكارم الأخلاق الحياء»[(٣)]

- وقال الفضيل بن عياض – رحمه الله: «خمس من علامات الشقوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل»[(٤)]

---

(١) مرشد الخطيب ودليل الباحث، عبدالرحمن المصطاوي، ص٣٧٨، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، دار المعرفة – بيروت، لبنان.

(٢) تنبيه الغافلين: ٤٧٧.

(٣) بهجة المجالس: ٢/ ٥٩٢.

(٤) مدارج السالكين: ٢/ ٢٤٩.

- وقال – رحمه الله: «تغلق بابك، وترخى سترك من الناس، ولا تستحي من القرآن الذي في صدرك، ولا تستحي من الجليل الذي لا تخفى عليه خافية» (١)
- وقال – رحمه الله: «إذا ذهب الحياء نزل البلاء».
- وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه: «من استحيى اختفى، ومن اختفى اتقى، ومن اتقى وقي».
- وقال الجراح بن عبدالله الحكمي – وكان فارس أهل الشام: «تركت الذنوب حياء أربعين سنة، ثم أدركني الورع».
- وعن سلمان الفارسي – رضي الله عنه – قال: «إن الله إذا أراد بعبد هلاكاً، نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء، لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً، فإذا كان مقيتاً، نزع منه الأمانة، فلم تلقه إلا خائناً مخوناً، فإذا كان خائناً مخوناً، نزع منه الرحمة، فلم تلقه إلا فظاً غليظاً، فإذا كان فظاً غليظاً، نزع ربق الايمان من عنقه، فإذا نزع ربق الإيمان من عنقه لم تلقه إلا شيطاناً ملعناً» (٢)
- وقالت بعض العارفات من السلف: «من عمل لله على الشهادة، فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه، فهو مخلص».
- قال بعض الحكماء: «ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك» (٣)

---

(١) مرشد الخطيب، ص٣٧٩.

(٢) الأقوال الذهبية من شرح الأربعين النووية، حمود بن عبدالله المطر، ص٣٧، ط١.

(٣) دليل السائلين، ص٢٢٤.

- وعن عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: «الحياء والإيمان في قرن، فإذا نزع الحياء، تبعه الآخر».
- وكان وهيب بن الورد – يقول: «خف الله على قدر قدرته عليك، واستحي منه على قدر قربه منك، وقال له رجل عظني، فقال: اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك».
- وقال ذو النون المصري – رحمه الله: «ثلاثة من أعلام الحياء، وزن الكلام قبل التفوه به، ومجانبة ما يحتاج إلى الاعتذار منه، وترك إجابة السفيه حلماً عنه».
- قال أبو حاتم: «إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه، ودفن مساويه، ونشر محاسنه، ومن ذهب حياؤه ذهب سروره، ومن ذهب سروره هان على الناس ومقت، ومن مقت أوذي، ومن أوذي حزن، ومن حزن فقد عقله، ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لا له، ولا دواء لمن لا حياء له، ولا حياء لمن لا وفاء له، ولا وفاء لمن لا إخاء له، ومن قل حياؤه صنع ما شاء وقال ما أحب»[١]
- وقال يحيى بن معاذ – رحمه الله: «من استحيا من الله مطيعاً استحيا الله منه وهو مذنب».
- وقال محمد بن الفضل – رحمه الله: «الحياءُ يتولد من النظر إلى إحسان المحسن ثم من النظر إلى جفائك إلى المحسن، فإذا كنت كذلك رُزقت الحياء».

---

(١) دليل السائلين، أنس إسماعيل أبو داود، ص٢٢٤، ط١، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م، الناشر نفسه، جدة.

- وقال أحد الحكماء: «أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيا منه، ومن يستحيا منه؛ إما أن يكون ليس كمثله شيء، ومجالسته تكون بالإدمان على ذكره، وبمجالسته مرشد صالح يعرّفه زلات النفس وآفاتها ليكون منها على حذر، وليفيد أدباً ويزداد حياءً وهيبةً، وبمخالطة أهل الحياء من العلماء العاملين الذاكرين الله كثيراً، الذين هم أهل الصحبة، الدالون على الله تعالى بالحال والمقال الذين يقال فيهم أولياء الله، من إذا رُؤوا ذُكر الله لرؤيتهم الذين هابوا الله تعالى، فأكسبهم ذلك هيبة الناس لهم، والذين استحيوا من الله تعالى فأكسبهم حياءَ الناس منهم على قدر حيائهم من الله تعالى، والذين أحبوا الله تعالى فأكسبهم حُبَّ الخلق على قدر حبهم لله عز وجل، وإياك وصحبة من يتكلم في الحياء ولا يستحي من الله تعالى، فإن مجالسته تقسي القلب وهو المستدرج فانفر منه وابتعد عنه».
- أوحى الله تعالى إلى سيدنا عيسى – عليه السلام: «عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستح مني أن تعظ الناس».
- وقيل: «إذا جلس الرجل ليعظ الناس ناداه ملكاه عظ نفسك بما تعظ به أخاك، وإلا فاستح من سيدك فإنه يراك».
- وقال محمد بن علي الكتاني: «العبادةُ اثنان وسبعون باباً. واحد وسبعون في الحياء من الله تعالى، وواحدٌ في أنواع البر».
- وقال الإمام أبو سليمان الداراني – رحمه الله: «إذا سكن في القلب

الحياءُ من الله تعالى فقد ارتحلت عنه الشهوات»[١]

- وقال محمد بن الفضل: الحياء على أربعة أوجه:

١) حياءٌ من تواتر إحسان الله وطول غفلة العبد.

٢) وحياءٌ من اطلاع الله عليه ورؤيته إياه.

٣) وحياءٌ من قرب الله تعالى وقدرته عليه.

٤) وحياء من ركوب الخطيئة بعد حسن المعرفة.

- وقل سهل بن عبدالله – رحمه الله: «الحياءُ أعلى من الخوف؛ لأن الحياء للخاص، والخوف للعام».

- وقال الإمام ابن قيم الجوزية – رحمه الله: «وأما حياء الرب تعالى من عبده فذاك نوع آخر، لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرم، وبر، وجود، وجلال، فإنه تبارك وتعالى حي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً، ويستحي أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام».

- وعن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – قال: «لا خير فيمن لا يستحي من الناس».

- وقال بعضهم: «أحْي حياءك بمجالسة من يستحا منه».

- وقال مجاهد – رحمه الله: «لو أن المسلم لم يصب من أخيه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصي لكفاه».

---

(١) تهذيب خالصة الحقائق. مجلد أول، ص٢٧٨.

- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «لا يستحي الذي لا يعلم أن يسألك حتى يعلم، ولا يستحي من يُسأل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم».
- وقال الإمام البخاري – رحمه الله – قال مجاهد: «لا يتعلم العلم مستحٍ ولا مستكبر».
- وقال فرقد – رحمه الله: «إن المنافق ينظر: فإذا لم ير أحداً دخل مدخل السوء، وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى».
- راود رجل امرأة، فقالت: ألا تستحي؟ فقال: لا يرانا إلا الكواكب، فقالت: «وأين أنت من مكوكبها»؟
- وقال الجنيد – رحمه الله: «الحياء رؤية الآلاء، ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء، وحقيقته خلق يبعث على ترك القبائح، ويمنع من التفريط في حق صاحبه».
- وقال محمد بن علي الترمذي: «اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه، واجهل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه».
- وروى أن الأسود بن يزيد لما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: «مالي لا أجزع؟ ومن أحق بذلك مني؟ والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل لأهمني الحياء منه مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه، ولا يزال مستحياً منه».
- وقال الحسن - رحمه الله: «الحياء والتكرم خصلتان من خصال

الخير، لم يكونا في عبد إلا رفعه الله بهما».

- وقال إياس بن قرة: «كنت عند عمر بن عبدالعزيز، فذكر عنده الحياء، فقالوا: الحياء من الدين. فقال عمر: (بل هو الدين كله)».

- وقالوا: «القناعة دليل الأمانة، والأمانة دليل الشكر، والشكر دليل الزيادة، والزيادة دليل بقاء النعمة، والحياء دليل الخير كله».

- وقال الإمام ابن القيم – رحمه الله: «وخُلُقُ الحياء من أفضل الأخلاق وأجلّها، وأعظمها قدراً، وأكثرها نفعاً، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم، وصورتهما الظاهرة كما أنه ليس معه من الخير شيء».

- وقال الإمام يحيى بن معاذ – رحمه الله: «إن أولياء الله تعالى تركوا الذنوب أولاً خوفاً من عقابه، فلما عرفوا حق المعرفة وصفت أسرارهم تركوها حياءً من كرمه. ومن أطاع الله لمحبته إياه كان أفضل من أن يطيع الله خوفاً منه».

- وقال الواسطي محمد بن موسى الفرغاني – رحمه الله: «مادام في النفس شيء من الشهوات فهو عن الحياء مصروف، ألا ترى أن المستحي كيف يسيل منه العرقُ وهو الفضل الذي فيه» [1]؟

- سئل حكيم: أي الخصال خير؟ قال: «الدين، والحياء، وحسن الخلق، والسخاء».

- وقال أبو سليمان الداراني – رحمه الله: «بلغني أن لقمان قال لابنه:

---

(١) تهذيب خالصة الحقائق، ص٢٧٩.

«كلُّ أمرٍ حدثتك به نفسك مما لو أخرجته إلى الناس استحييت منه فأخرجه من قلبك، فالله تعالى أحق أن تستحيه».

- وقال أحد الحكماء: «الإنسانية في أربعة أشياء: في حسن الكلام، وحُسن الاستماع، ومعرفة الحقوق، والحياء».
- وحكي أن رجلاً قال لحكيم: «أوصني وأوجز. قال: استحي من الله حين كنت خالياً عن الناس، فأنت منظور الملك القادر، والملك الكاتب الحاسب. قال: زد على هذا. فقال: اتق الله حيثما كنت تعش بخير، وتأمن شرور الناس ولا تنس نفسك في كل الأحوال» (١)
- وقال زيد بن الحبيب – رحمه الله: «إني لأستحي من الأموات كما أستحي من الأحياء».
- قال أهل التحقيق: «قلب المؤمن مضغةٌ جوفانية، حشوها جوهرةٌ ربانية، وحولها روضة نورانية، وفوقها داعيةٌ رحمانية، وتحتها ساحة روحانية، موضوعةٌ في نفس شهوانية. فإن لبس صاحبها لباس الصفاء، وارتدى برداء الوفاء، واتّزر بإزار الحياء، ورأى بالخوف والرجاء، وأكثر على حسنة فوت المنى البكاء، فقد وصل مقام البهاء، ونال الشرف والسناء، وإلا فليعدَّ نفسه للبلاء ومعالجة العناء، والاستحياء في مقام لا ينفعه الحياء» (٢)
- أوصت امرأة من أهل البادية ابناً لها عندما أراد سفراً فقالت: «يا بني! أوصيك بتقوى الله، فإن قليلها أجدى عليك من كثير عقلك، وإياك والنمائم، فإنها تزرع الضغائن، وتفرق بين المحبين، مثّل لنفسك ما تستحسنه من غيرك مثالاً، ثم اتخذه إماماً، واعلم أنه من جمع بين

(١) مصدر سابق، ص٢٨١.

(٢) مصدر سابق، ص٢٧٩.

الحياء والسخاء، فقد استجاد الحلة إزارها ورداءها»[١]

من الحكم والأمثال في الحياء:

- إياك والسؤال فإن ذلك يذهب ماء الحياء من الوجه وأعظم من هذا استخفاف الناس بك[٢]
- من قل حياؤه قل ورعه.
- إذا ذهب الحياء حل البلاء.
- من يستحي من الناس ولا يستحي من نفسه فلا قدر لنفسه عنده.
- يكاد حياء المرأة أن يكون أشد جاذبية من جمالها.
- جمال بلا حياء، وردة بلا عطر.
- إن لم تستح فاصنع ما شئت.
- الذي لا يستحي يفعل ما يشتهي.

واختم بهاتين القصتين:

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – كان إذا اغتسل لا يرفع المئزر عنه وهو في بيتٍ مغلقٍ عليه، ولا يرفعُ صلبه جيداً عند الاغتسال من شدة حيائه – رضي الله عنه – كيف لا؟ وقد قال الرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – عنه: «**أرحم أمتي أبو بكر، وأشدُّها في دين الله عمر، وأشدُّها حياءً عثمان بن عفان**»[٣]

ذكر كعب الأحبار أنه قال: انطلق رجلان من بني إسرائيل إلى مسجدٍ من

---

(١) مرشد الخطيب ودليل الباحث، عبدالرحمن المصطاوي، ص٣٧٩.

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف، ٢/ ٥٨.

(٣) رواه أهل السنن

مساجدهم، فدخل أحدهما، وجلس الآخر خارجاً من المسجد، وجعل يضطرب[1] ويتمرغ في التراب من الحياء ويقول: أيدخل مثلي بيت الله؟ وكيف أدخل وقد عصيت الله مراراً؟ قالها ثلاثاً، ثم غشي عليه فمات في مكانه. فلما دفن أوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان: إني كتبته صديقاً بهذا الحياء والحرمة والاعتراف بالمعصية.

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح فاصنع ما تشاءُ

فلا والله ما في العيش خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ



(١) يضربُ وجهه.

أشعار في الحياء

- قال أحدهم:

ما إن دعاني الهوى لفاحشة ... إلا نهاني الحياء والكرم
ولا إلى محرم مددت يدي ... ولا مشت بي لريبة قدم

- ويقال إن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – كان يتمثل بهذا الشعر:

وحاجةٍ دون أخرى قد تتنحت لها ... جعلتها للتي أخفيت عنوانا
وإني لأرى من لا حياء له ... ولا أمانة وسط القوم عريانا

- وقال آخر:

إذا حُرِمَ المرء الحياء فإنه ... بكل قبيح كان منه جديرُ
له قحةٌ في كل أمرٍ وسرُّه مباح ... وجدواه جفاءٌ وغرورُ
يرى الشتم مدحاً والدناءة رفعةً ... وللسمع منه في العظات نفورُ
فرج الفتى ما دام حيا فإنه ... إلى خير حالات المنيب يصير

- وقال آخر:

ورُبَّ قبيحةٍ ما حال بيني ... وبين رُكوبها إلا الحياءُ
فكان هو الدواء لها، ولكن ... إذا ذهب الحياء فلا دواءُ

- وقال أبو تمام:

إذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً ... تقلب في الأمور كما يشاء
ولم يك للدواء ولا لشيء ... يعالجه فيه غناء
فما لك في معاقبة الذي لا ... حياء لوجهه إلا العناء

• وقال آخر:

ولقد أصرف الفؤاد عن الشيء حياءً وحبه في السواد
أمسك النفس بالعفاف وأمسِ ذاكراً في غدٍ حديث الأعادي

• وقال آخر:

إذا قلّ ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه إذا قل ماؤه
حياؤك فاحفظه عليك وإنما يدل على فعل الكريم حياؤه

• وقال آخر:

وإذا خلوت بريبة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

• وقال آخر:

من عامل الله بتقواه وكان في الخلوات يخشاه
سقاه كأساً من لذيذ المنى يُغنيه عن لذة دنياه

والحمد لله رب العالمين



أقوال عن التوبة

التوبة

التوبة في اللغة:

التوبة بفتح التاء وسكون الواو – مأخوذةٌ من «تَوَبَ» التاء والواو والباء كلمة واحدة تدلُّ على الرجوع، يقال تاب وأناب إذا رجع عن ذنبه [(١)] . والتوبة هي الرجوع إلى الله، بحل عقدة الإصرار عن القلب، والتوبة الرجوع من الذنب، يقال تاب إلى الله تعالى يتوب توباً وتوبة ومتاباً: أي رجع وأناب عن المعصية إلى الله، ويقال أيضاً: تاب العبد أي عاد إلى الله ورجع وأناب، وتاب الله عليه: أي عاد عليه بالمغفرة. قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [(٢)] أي عودوا إلى طاعته وأنيبوا إليه، والله تعالى من أسمائه الحسنى «التواب». والتوب والتوبة معناهما واحد، والمراد: ترك الذنب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ الاعتذار.

التوبة في الاصطلاح الشرعي:

بمعنى الرجوع من البعد عن الله إلى القرب إليه سبحانه وتعالى، وهو عبارة عن ندم، والندم هو توجع القلب، وعلامته طول الحزن والبكاء على ما مضى والعزم على أن لا يعود إلى الذنب ولا إلى أمثاله، والندم على ما بدر في الماضي، والعزم على عدم إتيانه في المستقبل، ويجب على الإنسان أن يتوب من جميع الذنوب. وترك الذنب مخافة الله، واستشعار قبحه، وندمٌ على المعصية من حيث هي معصية، والعزيمة على ألا يعود إليها إذا قدر عليها، وتدارك ما أمكنه

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ج١، ٣٥٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

أن يتدارك من الأعمال بالإعادة. وعرّفها الإمام الحسن البصري – رحمه الله – فقال: «التوبة النصوح هي الندم بالقلب والاستغفار باللسان، والترك بالجوارح، والإضمار أن لا يعود».

والتوبة في الرؤية [1]: تدل على النجاة من السجن. وتدل على نيل ملك، وإصابة شرف وبركة بعد احتمال بلية. ومن تاب في منامه عن ذنب لا يعلمه من نفسه ربما يخشى عليه من الوقوع فيه، ولكن عاقبته إلى خير. والتوبة للكافر إسلامه. والله أعلم.



(١) تعطير الأنام في تعبير المنام، الشيخ عبدالغني النابلسي، دار المعرفة، ص٧٣، ط٣، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م، بيروت، لبنان.

التوبة من البيان الإلهي

- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (١)
- وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٢)
- وقال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣)
- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ (٤)
- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٥)
- وقال تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

(٣) سورة النور، الآية: ٣١.

(٤) سورة التحريم، الآية: ٨..

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[١]

- وقال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[٢]

- وقال تعالى: ﴿ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[٣]

- وقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾[٤]

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾[٥]

- وقال تعالى: ﴿ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾[٦]

- وقال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦٠.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٧.

(٦) سورة طه، الآية: ٨٢.

تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (١)

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (٢)

- وقال تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ (٣)



---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ٥٣، ٥٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٨.

التوبة من البيان النبوي

- عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاصطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك. إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**»(١)

- وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم**»(٢)

- وعن أنس بن مالك – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال: «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»(٣)

- وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ: «**لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء، ثم تبتم لتاب عليكم**»(٤)

- وعن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد والدارمي.

(٤) رواه ابن ماجة.

«التوبة من الذنب، أن يتوب منه ثم لا يعود فيه» (١)

- وعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: **«إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»** (٢)

- وعن الأغر – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أيها الناس توبوا إلى الله. فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة»** (٣)

- وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال: **«إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»** (٤)

- وعن جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تمنوا الموت، فإن هول المطلع شديد، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله الإنابة»** (٥)

- وعن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – قالت: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا عائشة، إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله، فإن التوبة من الذنب، الندم والاستغفار»** (٦)

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) رواه مسلم وأحمد.

(٤) رواه الترمذي وأحمد.

(٥) رواه أحمد.

(٦) رواه أحمد.

دعاء التوبة:

عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: «**كل شيء يتكلم به ابن آدم مكتوب عليه، فإذا أخطأ خطيئة أو أذنب ذنباً فأحب أن يتوب إلى الله فليمد يديه إلى الله عز وجل ثم يقول: (اللهم إني أتوب إليك منها لا أرجع إليها أبداً، فإنه يغفر له ما لم يرجع في عمله ذلك)**» [(١)]



(١) أخرجه الحاكم في المستدرك.

الأقوال والآثار في التوبة

- قال يحيى بن معاذ – رحمه الله: «الذي حجب الناس عن التوبة طول الأمل، وعلامة التائب إسبال الدمعة، وحب الخلوة، والمحاسبة للنفس عند كل همة».
- وقال محمد بن كعب القرظي: «التوبة يجمعها أربعة أشياء. الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيئ الإخوان».
- وقال أحدهم: «علامة التوبة: الخروج من الجهل، والندم على الذنب، والتجافي عن الشهوة، وترك الكذب والانتهاء عن سوء الخلق».
- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «عجباً لمن يهلك ومعه النجاة، قيل له: وما هي؟ قال التوبة والاستغفار».
- وقال أبو بكر الواسطي – رحمه الله: «التأني في كل شيء حسن إلا في ثلاث خصال: عند وقت الصلاة، وعند دفن الميت، والتوبة عند المعصية».
- وقال مجاهد – رحمه الله: «من لم يتب إذا أمسى، وأصبح، فهو من الظالمين».
- سئل الإمام الشافعي – رحمه الله: أيهما أفضل: الكافر إذا أسلم؟ أم العاصي إذا تاب؟ قال الإمام: العاصي إذا تاب؛ لأن الكافر إذا أسلم من درجة الجهل بالله إلى درجة العلم بالله، أما العاصي إذا تاب

فينتقل من درجة العلم بالله إلى درجة محبة الله».

- وقال الحسن البصري – رحمه الله: «من أراد التوبة فليخرج من المظالم، وليدع مخالطة الناس، وإلا لم ينل ما يريد».
- وقال شقيق البلخي – رحمه الله: «علامة التوبة: البكاء على ما سلف، والخوف من الوقوع في الذنب، وهجران إخوان السوء، وملازمة الأخيار».
- وقال الحسن البصري – رحمه الله: «إن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله عز وجل، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة».
- وقيل: «ما أراد الله من الناس إلا خصلتين أن يقروا له بالنعم فيزيدهم، وبالذنوب فيغفرها لهم».
- وقيل: «التوبة خلع الثوب الدنس، وقطع العرق النجس».
- وروي أن داود – عليه السلام [1] – قال: «يا رب، إن عبادك يعصونك ولا يبالون. فقال الله تعالى: «يا داود إني عاملتهم بأربع خصال: أولها لم أظهر أسرارهم، والثاني: لم أفضحهم، والثالث: أكرمتهم بكرامتي بعد جفائهم. والرابع: أني أقبل توبتهم إذا تابوا».
- وفي بعض كتب الله تعالى: «الزلة مع العذر، أحبُّ إليّ من الطاعة مع

---

(١) تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الدقائق، محمود بن أحمد الغارياني – هذبه وخرج أحاديثه، محمد خير رمضان يوسف، مجلد أول، ص٣٠٦، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، دار ابن حزم، بيروت.

العجب. قيل: كما كان لآدم – عليه السلام – ولإبليس – عليه اللعنة».

- وروي أن إبليس لما لُعن، وأجيب سؤاله في النظرة [١] قال: وعزتك لأخرجت من ولد آدم ما دام الروح فيه، فقال جل جلاله: «وعزتي لا أغلقتُ عنه باب التوبة ما دام الروح فيه».

- قيل لحاتم الأصم: ما لنا نستمع ولا ننتفع؟ قال: بخلالٍ خمسةٍ فيكم: ما أنعم الله عليكم لم تشكروا، وما عُلِّمتم من العلم لم تعلموا، وبمن صحبتم من الأخيار لم تقتدوا، وفيما دفنتم من الأموات لم تعتبروا، وعما أذنبتم إليه لم تتوبوا» [٢]

- وعن أبي نصر الحدادي صاحب البساطين أنه قال: يقول الجوزجاني: أصل التوبة خمسة أشياء: الندامة بالقلب مع الاستغفار باللسان، وإصلاح الأمور في موافقة القرآن، ومجاهدة النفس في مرضاة الرحمن، ومفارقة الإخوان الذين هم حزب الشيطان، والخوف الدائم على ما مضى من العصيان» [٣]

- وقال ابن عطاء: التوبة توبتان: توبة الإنابة، وتوبة الاستجابة. فتوبة الإنابة، أن يتوب العبد خوفاً من عقوبته. وتوبة الاستجابة أن يتوب حياءً من كرمه.

---

(١) يعني أن ينظر إلى يوم الدين.

(٢) تهذيب خالصة الحقائق، محمود بن أحمد الغادياني، خرج أحاديثه، محمد خير رمضان، يوسف، ط١، ص٣٠٨ – ١٤٢١هـ ، دار ابن حزم، بيروت.

(٣) مصدر سابق، ص٣٠٨.

- وقال السري السقطي – رحمه الله: التوبة على أربع دعائم: استغفار باللسان، وندمٌ بالقلب، وترك بالجوارح، وإضمار أن لا يعود.
- وقال محمد بن منازل: «كل توبة لا يقارنها الندم والحياء والخشية فليست بتوبة، إنما التوبة ما يتولد منه المحبة، ولا يحب الله تعالى من كان مخالفاً له» (١)
- وقال يحيى بن معاذ: علامة صدق التوبة ثلاثة أشياء: قلة الطعام، وقلة المنام، وقلة الكلام.
- وعن أبي عثمان أنه قال: قال شاه: إذا صحّحَ العبد مقام التوبة نُقل إلى مقام الخوف، ثم إلى مقام الرجاء، ثم إلى مقام الصالحين، ثم إلى مقام المريدين، ثم إلى مقام المطيعين، ثم إلى مقام المحبين، ثم إلى مقام المشتاقين، ثم إلى مقام الأولياء، ثم إلى مقام المقربين (٢)
- وعن بعض الحكماء أنه قال: «أصدق الناس القائم على توبته، وأكذب الناس العائد في ذنبه، وأجهل الناس الفاخر بحسناته، وأعلم الناس أخوفهم لله».
- وحكي أن رجلاً تاب في مشيبه، فقيل له: أبطأت، وأسرعت. يعني: أبطأت حين أخرت التوبة، وأسرعت حيث تبت قبل الموت.

---

(١) تهذيب خالصة الحقائق، ص٣١٠.

(٢) تهذيب خالصة الحقائق، ص٣١٠.

إلهـي تبـت عمـا كـان مـني فكفّـر سـيئاتي وارض عـني
وعـاملني بلطفـك يـا إلهـي ولا تقطـع لأجـل الذنـب مـني
وكـن يـوم القـيامة لي معينـاً وأحسـن بي كمـا أحسـنت ظـني

- وقال بعض المفسرين: الذنوب كلها على ثلاثة أوجه: ذنبٌ بينك وبين الحق، وذنبٌ بينك وبين الخلق، وذنبٌ في ترك الأوامر. فالتوبة في الكل الرجوع من الكل، والتضرع والابتهال، وتقديم أمر الله، حتى يأتيك اليقين.
- وقال بعضهم: «نوم التائب قليل، ونجواهُ مع الحق طويل، وبدنه مع حياء التقصير عليل، وأنيسه ملك حليل».
- وفي الزبور[1] «أوحى الله تعالى إلى داود – عليه السلام – أنا الله معطي كل سائل، وغافر كل مستغفر، وصريخ كل مستصرخ، وكاشف كل مكروب، ومحب كل تائب. فأحبَّ التائبين، وبشر المحسنين، وأنذر الخاطئين. قال – عليه الصلاة والسلام: «لو عملتم بالخطايا حتى تبلغ السماء، ثم تبتم تاب الله عليكم»[2]
- قال أبو طالب المكي – رحمه الله: «لقد حصرت الذنوب من أقوال الصحابة فوجدتها أربعة في القلب وهي: الإشراك بالله، والإصرار على المعصية، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله. وأربعة في اللسان وهي: شهادة الزور، وقذف المحصنات، واليمين الغموس

---

(١) مصدر سابق، ص٣١٣، مجلد أول.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك وحسنه الألباني.

والسحر [١] ، وثلاثة في البطن وهي: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا. واثنين في الفرج: الزنا واللواط، واثنين في اليدين: وهما القتل والسرقة. وواحداً في الرجلين وهو: الفرار من الزحف. وواحداً يتعلق بجميع الجسد وهو عقوق الوالدين».

- قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه: «التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود، وقال أيضاً: باب التوبة مفتوح، وهي مقبولة من كل أحد إلا من ثلاثة: إبليس رأس الكفرة، وقابيل بن آدم رأس الخطائين، وقد قتل نبياً من الأنبياء».
- وقال ذو النون المصري: «توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة».
- وقال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه: «لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة».
- روي أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن سيدنا محمداً - عليه الصلاة والسلام - قال: «**قال إبليس أي رب: لا أزال أغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب عز وجل: لا أزال أغفر لهم ما استغفروني**» [٢].
- وقال قتادة - رحمه الله: «القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم. أما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار».

---

(١) السحر لا يقتصر على اللسان بل تشترك الجوارح في عمله.

(٢) أخرجه أحمد والحاكم.

- وقال الفضيل – رحمه الله: «الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين».
- وقال أبو حامد الغزالي – رحمه الله: «حقيقة التوبة الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يحب، وترك ما يكره، فهي رجوع من مكروه إلى محبوب، فالرجوع إلى المحبوب جزء مسماها، والرجوع عن المكروه الجزء الآخر».

أخي القارئ أختي القارئة: لقد يسّر الله أمر التوبة، وفتح أبوابها لمن أرادها فهو عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل. فليشمر المسلم عن ساعد الجِدّ، وليتب إلى الله بلسانه، ويعزم بقلبه محققاً مدلول التوبة بالإيمان والعمل الصالح. علّ الله يقيل عثرته، ويقبل أوبته، ويغفر ذنبه.



أشعار قيلت في التوبة

- قال أبو نواس الحسن ابن هانئ:

يا كبير الذنب عفو الله ... من ذنبك أكبر
أعظم الأشياء في ... جنب عفو الله يصغر

- وقال آخر [(١)]

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ ... فمن الذي يرجو ويدعو المجرم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم أني مسلم

- وقال بعضهم في التوبة [(٢)]

ربِّ هب لي المتاب حتى أتوب ... واعف عني فقد عرتني الذنوبُ
يا مداوي السقام داو سقامي ... يا إلهي إن عليك حسيبُ
تعستُ ليلة عصيتك فيها ... قد انقضت وإثمها لي نصيبُ
ما احتيالي وقد عصيتك جهلاً ... كيف لا أستحيي وأنت الرقيبُ

- وقال آخر:

إلهي لست للفردوس أهلاً ... ولا أقوى على نار الجحيم
فهب لي توبة واغفر ذنوبي ... فإنك غافر الذنب العظيم

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب: ٢/ ٤٠٦ - ٤٠٧.
(٢) تنوير القلوب في معاملة غلام الغيوب للزملكاني: ٣٣٢.

• وقال آخر:

يا نفس توبي فإن الموت قد حانا وأعصي الهوى فالهوى ما زال فتانا

في كل يومٍ لنا ميتٌ نشيعه نحيي بمصرعه آثار موتانا

يا نفس مالي وللأموال أجمعها خلفي وأخرج من دنياي عريانا

• وقال آخر:

يا من يرى ما في الضمير ويسمعُ أنت المعد لكل ما يتوقع

يا من يرجى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمفزعُ

مالي سوى فقري إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقري أدفعُ

مالي سوى قرعي لبابك حيلةٌ فلئن رُددت فأي باب أقرع

ومن الذي أدعو واهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يُمنعُ

حاشا لفضلك أن تقنط عاصياً الفضل أجزل والمواهب أوسع

وأختم بهاتين القصتين:

حوار مع دمعة

بكيت يوماً من كثرة ذنوبي، وقلة حسناتي، فانحدرت دمعة من عيني وقالت: ما بك يا عبدالله؟

قلت: ومن أنت؟

قالت: أنا دمعة.

قلت: وما الذي أخرجك؟

قالت: حرارة قلبك.

قلت مستغرباً: حرارة قلبي؟ وما الذي أشعل قلبي ناراً؟

قالت: الذنوب والمعاصي.

قلت: وهل يؤثر الذنب في حرارة القلب؟

قالت: نعم ألم تقرأ دعاء النبي ﷺ دائماً: «**اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد**» فكلما أذنب العبد اشتعل القلب ناراً، ولا يطفئ النار إلا الماء البارد والثلج.

قلت: صدقت .. فإني أشعر بالقلق والضيق، وأظنها من حرقة القلب بكثرة المعاصي.

قالت: نعم .. فإن للمعصية شؤم على صاحبها، فتب إلى الله يا عبدالله.

قلت: أريد أن أسألك سؤالاً.

قالت: تفضل.

قلت: إنني أجد قسوة في قلبي، فكيف خرجت منه؟

قالت: إنه داعي الفطرة يا عبدالله. وإن الناس اليوم تحجرت قلوبهم فلم تكد ترى قلباً نقياً دائم الاتصال بالله إلا ما ندر.

قلت: وما السبب يا دمعتي؟

قالت: حب الدنيا والتعلق بها. فالناس كلهم منكبون عليها إلا من رحم ربي، ومثل الدنيا كالحية تعجبك نعومتها وتقتلك بسمها، والناس يتمتعون بنعومتها ولا ينظرون إلى السم القاتل بها.

قلت: وماذا تقصدين بالسم؟

قالت: الذنوب والمعاصي، فإن الذنوب سموم القلوب فلا بد من إخراجها وإلا مات القلب.

قلت: وكيف نطهر قلوبنا من السموم؟

قالت: بالتوبات الدورية إلى الله تعالى وبالسفر إلى ديار التوبة والتائبين عن طريق قطار المستغفرين [١]



(١) قطار المستغفرين إلى ديار التائبين، جاسم بن محمد بن بدر المطوع، تقديم، جاسم بن محمد المهلهل الياسين، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الوفاء - مصر.

يتوب كل مرة ثم يرجع إلى الفساد

روى أن رجلاً في بني إسرائيل يقال له نصوح كان يتوب في كل مرة ثم يرجع إلى الفساد. قال: فندم مرة على قبيح صنعه، فخرج إلى الصحراء ومزق قميصه ووضع التراب على رأسه يقول: إلهي كم مرة أتوب وأعود فإن لم تعصمني أعود وأعود. فسمع قائلاً يقول إن أنت تعود إلى المعصية وتعود وتعود فأنا أعود إلى الرحمة وأعود وأعود. قال تعالى: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ (١)

وهذه القصة تنطبق على حديث رواه الإمامان البخاري ومسلم – عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**أذنب عبدٌ ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي، فعلم أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أنه له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك**».

وهو الموافق لسماحة دين الإسلام لما فيه من الترغيب للتائبين والمقبلين على الاستقامة. حيث أنه كان في بني إسرائيل شاب قد عبد الله عشرين سنة، ثم عصاه عشرين سنة، ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته، فقال إلهي أطعتك عشرين وعصيتك عشرين سنة. فإن رجعت إليك تقبلني؟ فسمع هاتفاً من وراء البيت وهو يقول: «أحببتنا فأحببناك، وتركتنا فتركناك، وعصيتنا فأمهلناك، فإن رجعت إلينا قبلناك».

اللهم إنا نسألك توبة صادقة، وإنابة كاملة، وعملاً صالحاً متقبلاً يا رب العالمين.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨.

أقوال في حُسْن الخلق

حُسن الخُلق

حُسْن الخُلُق لغةً:

الخُلق والخَلق عبارتان مستعملتان معاً، يقال: فلان حَسَنُ الخُلُق والخَلْق، أي حسن الباطن والظاهر. فيراد بالخَلق الصورة الظاهرة ويراد بالخُلُق الصورة الباطنة. وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر، ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة. وقال القرطبي: «الأخلاق أوصاف الإنسان التي يتعامل بها مع غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمود على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك فتنصف منها، ولا تنصف لها، وعلى التفصيل العفو، والحلم، والجود، والصبر، وتحمل الأذى، والرحمة، والشفقة، وقضاء الحوائج، والتوادد، لين الجانب، ونحو ذلك، والمذموم منها ضد ذلك»[1] والحُسْنُ ضد القبح ونقيضه[2] قال الأزهري: «وحَسُن يحسن حسناً فيها. فهو حاسن وحسن»[3] وقال الجوهري: «والجمع محاسن على غير قياس كأنه جمع حسن»[4]

حُسْن الخُلُق في الاصطلاح:

عبارة عن هيئة عن النفس راسخة عنها تصدر الأفعال عنها بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحدودة عقلاً وشرعاً، سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً. وإن كان الصادر عنها

(١) فتح الباري، ١/ ٤٥٦.
(٢) لسان العرب، ١٣/ ١١٤.
(٣) لسان العرب: ١٣/ ١١٦.
(٤) مدارج السالكين: ٢/ ٤٩٤.

الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً. وقد عرف حسن الخلق بتعريفات عديدة متقاربة وفيها:

- قيل: حُسُن الخلق بذل الجميل، وكف القبيح.
- وقيل: حُسُن الخُلق هو: بذل الندى، وكف الأذى واحتمال الأذى.
- وقيل: التخلي من الرذائل، والتحلي بالفضائل.

قال ابن تيمية - رحمه الله: «وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام، والإكرام، والدعاء له، والاستغفار، والثناء عليه، والزيارة له. وتعطي من حرمك من التعليم، والمنفعة، والمال، وتعفو عمن ظلمك».



حسن الخلق من البيان الإلهي

- قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (١)

- وقال تعالى: ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢)

- وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٣)

- وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾

(١) سورة آل عمرا، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٣) سورة الأنفال، الآيات: ٢ – ٤.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [١]

- وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [٢]

- وقال تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١٢﴾ [٣]

حُسْن الخُلُق من البيان النبوي:

- عن النواس بن سمعان – رضي الله عنه – قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: «**البر حُسْن الخلُق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس**» [٤]

- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً. وإنه كان يقول: «**إن خياركم أحاسنُكُم أخلاقاً**» [٥]

- وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «**تقوى الله وحُسْن الخُلُق**» وسئل

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١ – ١١.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٢.

(٤) رواه مسلم والترمذي.

(٥) متفق عليه.

عن أكثر ما يدخل النار؟ فقال: «**الفم والفرج**» (١)

- وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال: «**ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حُسْن الخُلُق. وإن الله يبغض الفاحش البذيء**» (٢)
- وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن المؤمن ليُدْرِكُ بحسن خُلُقه درجة الصائم القائم**» (٣)
- وقال ﷺ: «**إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله بحُسْنِ خُلُقه وكرم ضريبته**» (٤)
- وقال ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**» (٥)
- وقال ﷺ: «**إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أُحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**»، قالوا يا رسول الله ما المتفيهقون؟ قال: «**المتكبرون**» (٦)
- وعن أنس قال: لقي رسول الله ﷺ أبا ذرٍ فقال: «**يا أبا ذر، ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر وأثقل في الميزان من غيرهما**»؟

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه أحمد وصححه الألباني.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه البيهقي، وصححه الألباني.

قال: بلى يا رسول الله. قال: «**عليك بحُسن الخُلق، وطول الصمت، فوالذي نفسي بيده ما تجمل الخلائق بمثلهما**»[(١)]

- وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ: «**إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة، وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل دركٍ من جهنم وهو عابد**»[(٢)]

- وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عز وجل لوحاً من زمردة خضراء جعله تحت العرش وكتب فيه: إني أنا الله لا إله إلا أنا أرحم وأترحم، خلقت بضعة عشر وثلاثمائة خلق، من جاء بخلق منها مع شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة**»[(٣)]

- وقال – عليه الصلاة والسلام: «**الخُلق الحسن يُذيبُ الخطايا كما يُذيب الماء الجليد، والخلق السوء يُفسدُ العمل كما يُفسد الخل العسل**»[(٤)]

- وقال – صلوات الله وسلامه عليه: «**أوحى الله إلى إبراهيم: يا خليلي، حَسّنْ خُلقك ولو مع الكفار تدخل مدخل الأبرار، وإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشي، وأن أسقيه من حظيرة قدسي، وأن أدنيه من جواري**»[(٥)]

---

(١) رواه أبـو يعـلى والطـبراني في الأوسـط، ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان، رقم: ٥٥٨.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق.

(٤) رواه الطبرانفي المعجم الكبير: ١٠/ ٣٣٨.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط وضعفه في ضعيف الجامع الصغير/ ٢١١٢.

- وقال ﷺ: «**إن الله تعالى جميل يحب الجمال، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفسافها**»(١)
- وكان من دعاء النبي ﷺ: «**اللهم حسِّنْ خُلُقي كما حسَّنتَ خلْقي**».
- ومن الوصايا الجامعة للرسول ﷺ حيث يقول ﷺ: «**أمرني ربي بتسع: الإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمني، وأصل من قطعني، وأعطي من حرمني، وأن يكون نطقي ذكراً، وصمتي فكراً، ونظري عبرة**».



(١) رواه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني في الجامع رقم: ١٧٣٩.

آثار وأقوال السلف في حُسن الخلُق

- عن الحسن البصري أنه قال: «من ساء خلقه عذب نفسه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه، ومن كثر كلامه كثر سقطه»(١)
- وعن الفضيل بن عياض – رحمه الله – أنه قال: من ساء خلُقه شان دينه وحسبه ومروءته»(٢)
- وعنه – رحمه الله – أنه قال: «لا تخالط إلا حَسَنَ الخُلُق فإنه لا يأتي إلا بخير، ولا تخالط سيء الخلق فإنه لا يأتي إلا بشر».
- وقال عبدالرحمن بن مهدي: «ليتق الرجل دناءة الأخلاق كما يتقي الحرام فإن الكرم من الدين»(٣)
- وقال سهل التستري: «أدناه الاحتمال، وترك المكافأة، والرحمة للظالم، والاستغفار له، والشفقة عليه».
- وقال الحسن: «حُسْن الخُلُق بسط الوجه، وبذل الندى، وكف الأذى».
- وقال يحيى بن معاذ – رحمه الله: «سوء الخُلُق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات، وحُسْن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات»(٤)
- وقال يحيى بن معاذ: «في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق».
- وقال يوسف بن أسباط: علامة حُسْن الخُلُق عشر خصال: قلة الخلاف، وحُسْن الإنصاف، وترك طلب العثرات، وتحسين ما يبدو من السيئات، والتماس المعذرة، واحتمال الأذى، والرجوع بالملامة على

---

(١) تهذيب خالصة الحقائق، ٢، ص٦١٦.

(٢) من أخبار السلف، ص٢٣٠.

(٣) مصدر سابق، ٢٣٠.

(٤) التربية عل منهج أهل السنة والجماعة، ص١٦٩، ط١، أحمد فريد، دار طيبة.

النفس، والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون غيره، وطلاقة الوجه للصغير والكبير، ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه.

- ويقول ابن القيم – رحمه الله: «وحُسْن الخُلُق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل».

فالصبر: يحمله على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش والعجلة.

- والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء، وهو رأس كل خير، وتمنعه من الفحشاء، والبخل والكذب والغيبة والنميمة.
- والشجاعة: تحمله على عزة النفس وإيثار معاني الأخلاق والشيم، وعلى البذل والفداء الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته، وتحمله على كظم الغيظ والحلم، فإنه بقوة نفسه وشجاعته يمسك عنانها ويكبحها عن الجزع والبطش.
- والعدل: يحمله على اعتدال الخلق وتوسطه فيما بين طرفي الإفراط والتفريط [(١)]
- وحكي أنه سئل سفيان الثوري عن تمام حُسْنِ الخُلقِ فقال: «كفُّ الغضب».
- وقال الجنيد: «أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات: وإن قَلَّ عمله وعلمه: الحلم، والتواضع، والسخاء، وحُسْن الخُلُق، وهو كمال الإيمان».
- وسئل ابن عباس: ما الحسب؟ قال: «أحسنكم خلقاً، أفضلكم حسباً» وقال: «لكل بنيان أساس وأساس الإسلام حُسْن الخُلُق».

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة. أحمد فريد، ص١٧١ – ١٧٢.

- وقال عروة بن الزبير – رضي الله عنه: «مكتوب في الحكمة، فلتكن بسطاً وكلمتك طيبة، تكن أحب إلى الناس من الذي يعطيهم العطاء»(١)
- وقال عطاء: «ما ارتفع من ارتفع إلا بحسن الخُلُق»(٢)
- وقيل: للأحنف بن قيس: بم سدت؟ قال: بالخُلُق السجيح، والكف عن القبيح، وتجنب الدنيء، وترك اللسان البذيء»(٣)
- وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه: «خالطوا الناس بالأخلاق، وزايلوهم بالأعمال»(٤)
- وقال حبيب بن أبي ثابت: «من حُسْن خُلُق الرجل أن يحدث صاحبه وهو مقبل عليه بوجهه».
- وعن أيوب السختياني قال: «لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم»(٥)
- وقال الحارث: «حُسْن الخُلُق احتمال الأذى، وقلة الغضب، وبسط الوجه وطيب الكلام».
- وقال أحد الحكماء: «علامة حُسْن الخُلُق أن لا يظلم، ولا يمنع، ولا يجفو أحداً، وإن ظلم غفر، وإن منع شكر، وإن ابتلي صبر».
- وقال عالم: «حُسْن الخُلُق. حسنُ القول والفعل والهدي والسَّمت».
- وقال أهل الرياضة: «حُسُن الخُلق صدق التحمل، وترك التجمل، وحب

---

(١) مرشد الخطيب، عبدالرحمن المصطاوي، ص٣٣٥، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، دار المعرفة، بيروت.
(٢) إحياء علوم الدين للغزالي: ٣/ ١٧٦.
(٣) قطوف دانية من شجرة الحكم العالية، ١٣٩.
(٤) دليل السائلين، أنس إسماعيل أبو داود، ص١٩٥.
(٥) من أخبار السلف، ص٢٣٠.

الآخرة، وبغض الدنيا، ومتابعة الشريعة».

- وروي أنه أوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام: إن أردت أن لا تدعوني في أيام حياتك إلا أجبتك، ولا تسألني في القيامة إلا قلت نعم، فعليك بحُسْن الخُلق».
- وروي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: «قد يكون في الرجل عشرة أخلاق: تسعةٌ صالحةٌ وخلقٌ سيئ، فيفسد التسعة الصالحة بالخُلق السيء».
- وعن الفضيل - رحمه الله - أنه قال: «لأن يلاطف الرجل أهل وده، ويحسن خلقه معهم من غير مداهنة، خيرٌ له من قيام ليلة وصيام نهاره».
- وقال ميمون بن ميمون: «صديق كلِّ امرئٍ خلقه، وعدوُّه حمقه، وقرابةٌ بغير مودةٍ بلية، وعمل في غير رسم غم، وجائزة الرجل السوء أن يكف عنا الأذى، ومن لم يُرج خيرهُ لم يؤمن شره»[(١)]
- وقال الحسين بن منصور: حسنُ الخُلق أن لا يؤثر فيك جفاءُ الخُلقِ بعد مطالعتك للخَلْق».
- وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «إن حُسْن الخُلق، وحسن الجوار، وصلة الرحم، يعمِّرن الديار، ويزدن في الأعمار».
- وقال القرطبي: «الأخلاق أوصاف الإنسان التي يتعامل بها غيره، وهي محمودة ومذمومة، فالمحمود على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك فتنصف منها، ولا تنصف لها. وعلى التفصيل العفو، والحلم، والجود، والصبر، وتحمل الأذى، والرحمة، والشفقة، وقضاء الحوائج،

---

(١) تهذيب خالصة الحقائق، ص٦١٨.

والتوادد، ولين الجانب ونحو ذلك. والمذموم ضد ذلك»[(١)]

- وقال الفضيل بن عياض: «إذا خالطت. فخالط حَسَنَ الخُلُق، فإنه لا يدعو إلا إلى خير، وصاحبه في عناء. ولأن يصحبني فاجر حَسَنَ الخُلُق أحب إليَّ من أن يصحبني قارئ سيئ الخلق. إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله، وخف على الناس وأحبوه، وإن العابد إذا كان سيئ الخلق ثقل على الناس ومقتوه»[(٢)]
- وقال ابن القرية: «تأدبوا فإن كنتم ملوكاً سُدتم، وإن كنتم أوساطاً رُفعتم، وإن كنتم فقراء استغنيتم».
- وقال بعض الحكماء: «أفضل ما يورث الآباء الأبناء الثناء الحسن، والأدب النافع، والأخوان الصالحون».
- وقال الشعبي: «حُسْن الخُلُق: البذلة والعطية والبشر الحسن».
- وقال بعض أهل العلم: «حُسْن الخلق: كظم الغيظ لله،وإظهار الطلاقة، والبشر إلا للمبتدع والفاجر، والعفو عن الزالين إلا تأديباً أو إقامة حد، وكف الأذى عن كل مسلم أو معاهدٍ إلا تغيير منكر أو أخذاً بمظلمةٍ المظلوم من غير تعدّ»[(٣)]
- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: «حُسْن الخُلُق خير قِرَان».
- وقال جعفر الصادق – رضي الله عنه: «حسن الخُلق أحد مراكب النجاة».

---

(١) الأربعون حديثاً في الأخلاق، د. أحمد معاذ حقي، ص٧. ط١، دار طويق للنشر – الرياض.

(٢) مصدر سابق، ص٩.

(٣) الأقوال الذهبية من شرح الأربعين النووية، حمود بن عبدالله مطر، ص١٢٢، ط١، دار طويق، الرياض: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- «من لا أخلاق له لا دين له»، (مثل عربي).
- وقال سعد زغلول: «نحن لسنا محتاجين لكثير من العلم، ولكننا محتاجون لكثير من الأخلاق» (١)
- وقال لأمونية: «الأخلاق نبتة جذورها في السماء، أما أزهارها وأثمارها فتعطر الأرض».
- «لا تكن صخّاباً ولا فحاشاً، ولا تذم أحداً، ولا تتكلم إلا فيما ترجو ثوابه، وأعط كل جليس لك نصيبه. ولا تدخر عن الناس سرَّك»، (من الحكم).
- وقال الإمام الغزالي – رحمه الله: «الأخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس، إنها أمراض تفوت على صاحبها حياة الأبد» (٢)
- وقال الماوردي: «معنى حُسْن الخُلُق أن يكون المسلم سهل العريكة، لين الجانب، طلق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة» (٣)
- وقال الماوردي: «إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه، وقل معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب» (٤)
- قيل للقمان الحكيم: ممن تعلمت الأدب؟ قال: من قليل الأدب! وذلك إني كلما رأيت أحدهم أساء التصرف في أمر في الأمور اجتنبت فعله إلى الأبد.
- لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطاً، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء» (من الحكم).

---

(١) حكم وعبر، أسامة الصواف، ص٦٤.
(٢) موسوعة أقوال الحكماء، موسى بن راشد البهدل، ص٦٩، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
(٣) مصدر سابق، ص٦٩.
(٤) مصدر سابق، ص١٢٣.

- اغلب غضبك بحلمك، وهواك بتقواك، وكن في الشدة وقوراً، وفي المكاره صبوراً، وفي الرخاء شكوراً، وفي الصلاة متخشعاً وإلى الصدقة متسرعاً». (من الحكم).

أمثال وحكم في حُسْن الخُلُق [١]:

- من لا أخلاق له لا دين له.
- لا قرين كحسن الخُلُق.
- كفى بحسن الخلق نعيماً.
- في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق.
- من لانت كلمته وجبت محبته.
- من ساء خُلُقه قل صديقه.
- حسن الخلق خير رفيق.
- باللطف تفتح جميع الأبواب.
- التواضع نعمة لا يفطن لها الحاسد.
- الحلم والأناة توأمان ينتجهما علو الهمة.
- بالرفق تنال الحاجة.
- الحلم دعامة العقل.
- أحسن المكارم عفو المقتدر.
- من أخلاق الأولياء: «سلامة الصدر وسخاوة النفس، وحسن الظن في

(١) مرشد الخطيب ودليل الباحث، عبدالرحمن المصطاوي، ص٣٣٧.

عباد الله».

- «من كرم الأخلاق والأدب أن تقبل عذر من جاءك حتى باب منزلك».
- أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً» [(١)]
- لا تبحث عن عيوب الناس وإذا عثرت عليها عثوراً، فمن الحكمة وكرم الأخلاق أن تتجاهلها وتبحث عما قد يكون وراءها من فضل [(٢)]
- «سامح الآخرين دائماً ولكن لا تسمح نفسك أبداً».
- من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله».
- «فعل الخير حسن، وأحسن منه ستره».



(١) بدائع الزهور المختارة، الشريف نجيد شرف عدنان آل غالب، ص١٥٢.

(٢) المصدر السابق.

أشعار في حُسن الخُلُق

- قال المتنبئ:

ما الحسن في وجه الفتى شرفاً له
إن لم يكن في فعله والخلائق

- وقال آخر:

كم مات قوم وما ماتت مكارمهم ... وعاش قوم وهم في الناس أموات

- وقال آخر:

تواضع تكن كالنجم لا لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تكن كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضيع

- وقال آخر:

إذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخير من إجابته السكوت
وما سكت عن السفيه فظن أني ... عييت عن الجواب وما عييت
ولكني اكتسيت بثوب حلمٍ ... وجنبت السفاهة ما بقيت

- وقال آخر:

العفو عند كريم القوم مكرمه ... وبعضه لسفيه الرأي تدريب

- وقال أمير الشعراء:

صلاحُ أمرك للأخلاق مرجعه ... فقوِّم النفس بالأخلاق تستقم

- وقال أيضاً:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

• وقال آخر:

إذا لم تتسع أخلاق قوم — تضيق بهم فسيحات البلاد
إن المرء لم يخلق لبيباً — فليس اللبُّ عن قِدَم الولاد

• وقال الشافعي:

إن شئت أن تحيا سليماً من الأذى — وحظُّك موفورٌ وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ — فكلك عورات وللناس ألسن
وعينُك إن أبدت إليك مساوئاً — فصنها وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى — وفارق ولكن بالتي هي أحسنُ

• وقال محمود الورّاق:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب — وإن كثرت منه عليّ الجرائم
وما الناس إلا واحد من ثلاثة — شريف ومشروف ومثلي مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف قدره — وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عني — إجابته عرضي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا — تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

وحكي أنه سئل بعضهم: من أحسن الناس عيشاً؟ قال: من حَسُنَ عيشُ غيره في عيشه. قيل: فمن أسوأ الناس عيشاً؟ قال: من ساء عيش غيره في عيشه.

يا من يدل بحُسن خلقه — حسنُ الفتى في حسن خلقه
فالحسن في خلق الفتى — فيه دلائل طيب عرقه

• وقال آخر:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم — فأقم عليهم مأتماً وعويلا

- وقال آخر:

ولـــيس بعامــرٍ بنـــيان قـــوم إذا أخلاقهـــم كانـــت خـــرابا

ومن الأمثلة في حُسْن الخلق:

- قيل للأحنف بن قيس: من أين تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس ابن عاصم. قيل: وما بلغ حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ أتته جارية بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات، فدهشت الجارية فقال لها: لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى.

- كان الفضيل بن عياض – رحمه الله: إذا قيل له: إن فلاناً يقع في عرضك يقول: والله لأغيظن مَنْ أمَرَهُ – يعني إبليس – ثم يقول: اللهم إن كان صادقاً فاغفر لي، وإن كان كاذباً فاغفر له.

- ورد عن النبي ﷺ [(١)]: أن الله سبحانه وتعالى لما أراد خلقَ آدم أمر سيدنا جبريل – عليه السلام – أن يأتيه بقبضة من طين الأرض، فلما ذهب سيدنا جبريل وأراد أن يأخذ منها تلك القبضة قالت الأرض لجبريل: أعوذ بالله منك أن ينقصني شيئاً، أو أن يأخذ مني خلقاً يكون مآله إلى النار. فقال جبريل: لقد استعذت بعظيم. ورجع عنها، ولم يأخذ منها شيئاً. فلما عاد عاتبه الله سبحانه وتعالى في ذلك. فأخبره بما قالت الأرض – والله أعلم بما قالت – فبعث الله إليها ميكائيل، فاستعاذت بالله منه فأعاذها، فبعث إليها ملك الموت،

---

(١) دليل السائلين، ص١٩٧، ط١.

فاستعاذت منه أيضاً، فقال لها ملك الموت: وأنا أعوذ بالله من أن أعصي له أمراً أو أخالف له حكماً، ثم انتزع من كل معدن منها جزءاً ولم يؤخذ من مكان واحد، ولكن أخذ من جميع معادنها وأكثر عناصرها، لذلك جاء بنو آدم مختلفين، في الطبع ومتفاوتين في الأخلاق.

- وشتم رجل سلمان الفارسي - فقال له: إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول، وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول.

والحمد لله رب العالمين



أهم المراجع

- القرآن الكريم.
- كتب أحاديث الرسول ﷺ.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد وآخرون، دار المغنى، الرياض، ط١.
- لسان العرب لابن منظور.
- العقل أصوله وميادينه في الحياة، الشيخ محمد عبدالعزيز اللحيدان، دار الإمام مالك – الرياض، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
- دليل السائلين، أنس إسماعيل أبو داود، ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، الناشر نفسه، جدة.
- تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الرقائق، محمود بن أحمد الغادياني، هذبه وخرج أحاديثه محمد خير رمضان يوسف، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- القاموس المحيط للفيروز أبادي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- سفينة الفرج فيما هب ودب ودرج، صنفه الشيخ محمد سعيد بن قاسم الدمشقي، هذبه واعتنى به، محمد خير رمضان يوسف، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤، دار البشائر الإسلامية – بيروت.
- هكذا قلت: محمد خير رمضان يوسف، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، دار ابن حزم – بيروت – لبنان.
- بدائع الزهور المختارة، الشريف نجيد شرف عدنان آل غالب، ط١،

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م. الدار السعودية، جدة.

- رحلة العلماء في طلب العلم، أبو أنس ماجد البنكالي، ط١ – دار النفائس – عمان – الأردن ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٤م.
- أخلاق العلماء، تحقيق: أمينة عمر الخراط، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، دار القلم، دمشق، دار البشير، جدة.
- علامات الساعة الصغرى والكبرى – عيسى بن إبراهيم آل مانع، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض.
- من أخبار السلف، زكريا بن غلام قادر الباكستاني، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، مكتبة الرشد، الرياض.
- جامع بيان العلم.
- موسوعة علي بن أبي طالب – فاطمة محمود الجوابر، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- منهاج طلب العلم.
- إيقاظ الهمة لبيان فضل العلم، الشيخ حلمي بن محمد الرشيدي، ط١، ٢٠٠٤م، دار الإيمان، الإسكندرية – مصر.
- التحف في المواعظ والطرف.
- وكونوا مع الصادقين، عبدالعزيز ناصر الجليل، ط١، ١٤١٥هـ، دار طيبة، الرياض.
- زاد المتقين، إبراهيم بن عبدالله الحازمي، ط٦، دار الشريف، الرياض، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- كذبة نيسان في الميزان، محمد خير رمضان يوسف، ط١، دار ابن حزم – بيروت – ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- مرشد الخطيب ودليل الباحث، عبدالرحمن المصطاوي، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢، دار المعرفة – بيروت – لبنان.
- سمير المؤمنين، محمد الحجار، ط١١، دار البشائر، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- نفائس الكلام من أفواه السلف الكرام، مصطفى حقي، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، دار الشريف، الرياض.
- تعطير الأنام في تعبير المنام، الشيخ عبدالغني النابلسي، ط٣.
- الصبر والثواب عليه ابن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. دار ابن حزم، بيروت.
- الأقوال الذهبية وشرح الأربعين النووية، حمود مطر، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض.
- مختار الصحاح، الشيخ محمد بن أبي بكر الرازي، ط١، طرابلس لبنان.
- موارد الظمأن لدروس الزمان، الشيخ عبدالعزيز الحمد السلمان.
- حلية الأولياء.
- المنتقى الشافي من الجواب الكافي، محمد بن عبدالله الهبدان، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، دار بلنسية، الرياض.
- الترغيب والترهيب.
- المستطرف في كل فن مستظرف.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس.
- جامع العلوم والحكم لابن رجب.

- تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب للزملكاني.
- قطار المستغفرين إلى ديار التائبين، جاسم بن محمد بن بدر المطوع، تقديم/ جاسم بن محمد المهلهل الياسين، ط٢، ١٤٢١هـ - ١٩٩٢م، دار الوفاء – مصر.
- فتح الباري.
- التربية على منهج أهل السنة والجماعة، ط١، أحمد فريد – دار طيبة – الرياض.
- قطوف دانية من شجرة الحكم العالية.
- الأربعون حديثاً في الأخلاق، د. أحمد معاذ حقي، ط١، دار طويق الرياض، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- حكم وعبر، أسامة الشواف، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ط١، دار الشواف، الرياض.
- موسوعة أقوال الحكماء، موسى بن راشد البهدل، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار طويق – الرياض.
- لقمان الحكيم وحكمه، محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.



الفهرس